Riyadh Hamza

جمعة اللامي

من قتل حكمة الشامي

قصص قصيرة

منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية

١٩٧٦ ——————————— سلسلة القصة والمسرحية

(٤٢)

جمعة اللامى

من قتل حكمة الشامي ؟

قصص

اهتمامات عراقية

● **قراءة جديدة .**

ايها المؤمنون ..

اسرعت الجياد فوق رمال الويلات . وعرف ـ كما أنبأه جده ـ ان السر الذي وعد به سيتحقق خلال هذا اليوم فقط ، فربت على عرف جواده ومال الى انصاره وآل بيته ، فرأى الدموع تبلل لحاهم ومع ذلك فهم يبتسمون ، في حين بدت طلائع « الحر » كالأشجار البعيدة ساعة القيلولة .

حاور الرجل نفسه وجده : هاأنـ الوعد اقترب ، وبي شوق يا جدي المقياك » .

كانت الشمس فوق رأسه تماما .

كانت الصحراء تحمله فرحة بالدم العبيط الجديد .

كانت أخته ساهمه ـ وعد الجد وعار السبي ، ابنتها الحوراء .

صوت : ماذا تكتب ؟

المؤلف : قصة .

الصوت : لكنها ليست البداية • انت تعيد تاريخاً !
المؤلف : اني اكتب عن الحسين ، الا يسرك ؟
الصوت : دعني اسمعك اغنية :

« يُمه يعبدالله ،
ذبحوك بحضيني •
وأسمع جناجيلك ،
ما غمضت عيني
جدك أبو الحسنين ،
جدك رسول الله ! »

ـ يبدأ الصوت بالخفوت تدريجياً حتى يغيب عن سمع المؤلف •
يبدأ المؤلف بترديد الاغنية كصبية الحارة تماماً ـ

وقفنا في رأس درب من دروب حارة الماجدية نبحث عن ذلك الصبي الصبوح الذي سيكون شبيه (الحسين) • خرجت امي الى الدرب وقالت الحسين مات • مات الحسين • وستنهكون عيونكم بحثاً لان الصبي الصبوح الذي يشبه الحسين ما وجد بعد فهو ما يـــزال نطفة في ظهر الرجل القادم الان من الشرق •

متى نجده اذن ؟

من يدري •• !

واذ أفكر في هذا ، ابدأ بالصعود من الماضي واتجاوز الحاضر لارتبط بالمستقبل وأعيش مع الرجل القادم من الشرق •

فوق رمال الويلات يجيء الرجل القادم من الشرق ، يتذكـــر

الاغنية التي رددها المؤلف قبل قليل ، ويحط على رمال الصحراءعند مربض الجواد الذي ما ترك فارسه حتى بعد مصرعه •

يميل الرجل الملتحي الى انصاره الذين ما اهتدوا بوقع خطى جواده بعد ويبدأ بمخاطبتهم : « •• ايها الفرسان الذين تعيشون في ماضيّ ، أياكم واللحاق بي ، فأنا لا أقدم لكم الاّ المـوت ، عودوا الى زوجاتكم فأنا أذهب الان الى ادغال بوليفيا » •

هي نفس الطرق الموحلة يا سيدي ، وقلبي هزه الشوق اليك• المستقبل أنا ، ولكي ادخل بردتك الواسعة دعني أمارس ضعفي القديم فليل الكوابيس والجدران وشتاءات البرد وعواصف الرمل الخريفية ما تزال تعيش في دمي •

نفس الطرق الموحلة يا سيدي ••

وأنا ابنك الذي خبّ بلا سرج وسط الحانوب ومعاطف الشرطة، اجيء أرض الويلات للمرة الاخيرة •

هبني يديك !

الصوت : وماذا بعد •• ؟

المؤلف : لا ادري •

الصوت : التأريخ روى ما روى • انت لست كاتباً جيـداً • تعيد ما قالته الكتب الصفراء وما بكى من أجله القراء فوق المنابر السود الحزينة ؟

المؤلف : اياك وحديث المنابر • الحسين في دمي • الحسين ـ دمي •

الصوت : دعني اسمعك أُغنية :

ـ يبدأ غناء غريب • وفي هـــذه اللحظات يرجى مـن القـراء الالتفات أو عدمه الى هذه الملاحظات ـ

يمهيعبد الله

ذبحو كبحضيني

واسمعجناجيلك ما غمضتعيني

جدكأبو الحسنينجد كرسولله »

وهذا « حزن شعبي » يقول الصوت :

« •• سوده شلهاني

ما رحت ويه هواي

و ـ الحر ـ جزاني

طحت بدياي الماي •• »

ـ يشارك المؤلف بترديد المقطع الثاني من الأغنيـــة ، وللقراء الاختيار بترديد الاغنية ام لا ، فذلك ليس من همّ المؤلف اطلاقا ـ:

« حالك شلونه

ينشدني البطران •

همّ ينشدونه •• ،

الطاير عليه المايْ •• ؟

ـ يختفي صوت المؤلف نهائيا • يكتفي بالتفرج ، يظل الصوت يردد الاغنية ثم يتوجه للقراء ـ

« سيداتي وسادتي ••

الحكاية وما فيها ان السيد المؤلف يريد ان يكتب قصته • كـــان

متأزماً ولم يسكر البارحة كما تعود • ذهب قبل أيام الى النجف ثم عاد وفي ذهنه بعض صور الموت والفجيعة وردد أمام امه انه أصبح الان مسيطراً على وعيه • كان يفكر باستشهاد الحسين منذ صغره• ورغم انه لم يلطم صدره في عاشر عاشوراء فقد رأى القمر يسقط على الموكب فخاف منه واحتمى بحضن امه وظل صامتا لشهر •

قالت أمه : اهو حلو كما يقولون ؟

ـ : انه القمر •

قالت امه : ولحيته •• اكانت شقراء كما يقولون ؟

ـ : انه يسير في كل الاتجاهات •

قالت امه : انت طفل يا جمعة ، ويحسن الا تكذب !

ـ : اردفني جواده • مشينا على رؤوس الناس • وقـال لي يا ولدي ستموت بنار عشيرتك أوصيك بنفسك كن حاضراً كمـا الهـواء •

ـ يتابع الصوت ـ

بعد ذلك ذهبوا بالصبي الصغير الى أحد (السادة) الذي بصق في فمه ، ووشم خاصرته اليمنى بوشم الحسين المعروف •

● الرؤوس والنهر ••

رغم اننا حملنا الصحارى على اكتافنا فقد تهنا :

كان ثمة بحر من الرمل يجتاز الوادي المحاط بسلسلتي تـلال لا تكاد تلمس الفرق بين ارتفاعيهما ، فوقه تماما طفت بيوت القصـب والبردي ، وحيث الاطفال يُسيرّون الزوارق الورقية فوق سطح الماء ويرددون •

« يمه يعبدالله
ذبحوك بحضيني
واسمع جناجيلك
ما غمضت عيني
جدك ابو الحسنين
جدك رسول الله

ما ردد الصغار الانشودة عندما شاهدوا سفن عامل الخليفة تخترق النهر صاعدة الى مركز الخلافة • كانت السفن تحمل رائحة الصحراء والدم المتيبس في أسفل الاعناق المبتورة •

ثلاثة رؤوس :
على القنوات مشرعة ،
رجل ملتح ، من بين الرؤوس ،
كان يبتسم للاطفال المذعورين •
هكذا سارت القافلة :

سفينة الحماية • بعدها سفينة عامل الخليفة • ثم سفينة الرؤوس الثلاثة • وكانت الرؤوس المصلوبة تنوح ولم يسمع نواحها لا العامل الذي اعتمر رداء الخلافة ولا الجند الذين سكروا بخمر الرقع • الاطفال فقط هم الذين سمعوا اناشيد الرأس المصلوب ذي الوجه الملتحي •

كبر الصغار •

رفعوا همّ الصحارى على اكتافهم وهزجوا بأناشيد الحزن والحب والقتال •

الرأسان الآخران كانا يبكيان • والرجل الــذي اعتمر رداء الخلافة يبتسم في انتظار ليلة حمراء مع الجارية القبطية الجديدة•حكى الاطفال لذويهم عن حوار الرؤوس الثلاثة • كبار الرجــال قفلــوا افواههم • أما الشباب فتناقلوا الحوار بهمس :

قال الرأس الاول : لقد ضعنا •

قال الرأس الملقي : أشهد ان الزنج آتون •

قال الرأس الثالث : الاطفال يفنون وهم كبار •

قال الرأس الاول : تهت •

قال الرأس الثالث : أبحث عن الوجه الذي أكــونه بعــد أن يجلدني الخليفة بعصاه الذهبية •

قال الرأس الاول : لقد متنا •

قال

الرأس

الذي

هو الوجه

الجديد :

الاطفال يفنون ،

والموت بداية التجدد •

● **الفجيعة ــ الندم ــ البدء** •

أعلنت الابواق لحظات الندم والفداء •

ضرب الاطفال هاماتهم بسيوف الخشب • أما الكبار فقد التمعت الصياقل على رؤوسهم وتخضبت أكفانهم بدموع الحسين ودماء الندم•

حسين : الابواق تصرخ كالثكالى •

حسين : الطبل يبكي ويستعذب ضرب العصا على جلدته الواهنة•

حسين : صخور الصحن المقدس تردد مـع الناس المنذوريـن
الموت والفجيعة حشرجات الروح •

تقدم رئيس الموكب الى ضريح الامام • آلاف النـاس صامتـة والسيف يجد لذة غريبة في الوقوع على الجرح النازف ورئيس الموكب يتقدم قويا الى حيث الضريح •

يخاطب علياً :

« انت ايها الشجاع تدع ابنك يموت وسـط رمال الويلات بلا رمس ، تدوس الخيل صدره ، وتساق الحرائر الى حرم الطاغية •• ولقد وعدتنا بالرجل الشرقي القادم من جبال الشرق على جواد أصيل تتبعه جحافل المحاربين من كل جنس ولون ولغة •• وما اتى الرجل يا أميري ••

انا عاتبون عليك •• »

واحسيناه !

يسيل الدم ،

تجأر حتى الحيطان •

آه ما أحلى لذة الحزن والندم •

يطلع الحسين من على منارة أبيه ، رجـلا شرقي الملامـح ، ملتحياً ، علم في يسراه وسيف في يمناه ، وخلفه مجاميع من النـاس العراة يقبضون على السيوف بأيديهم واسنانهم ، وينتظرون اشـارة القائد الذي يبدو حزيناً •

يرفع ذراعه اليمنى ، ذات السيف ، الى الاعلى ويخاطب الناس• الا انهم منشغلون عنه بطقوس الندم والفجيعة ، يرتد الى صحبهالذين بجواره ويقول لهم ان أعوام الصحو لم تأت بعد •

يستدير ••• فتتبعه الفيالق •

ويستدير قوس الندم والفجيعة حول الصحن أيضا : مع الفجيعة الاولى ، عندما حملت الرؤوس الى الشـــام ، أصبح الناس ينتظرون فواجع أخرى • ولم يكن الفرات هو النهر الوحيد الذي سمععطش الرؤوس • كان دجلة هو الاخر ينوح عندما مـرت سـفن العامــــل العباسي في مياهه تحمل رؤوس قادة الزنج الثلاثة :

ـ ملاحظة من المؤلف : أجد من المناسب الان الالتفات الى مـــا يطرحه « الصوت » الذي اضجرني كثيراً ـ

الصوت : يفكر المؤلف الان بذلك المسلم الذي يُدعى (ميثـم التمار) ويود أن يشركه في هذه القصة • الا" انني حاولت منعه فقـد كنت اعي ان كتابته عنه قد تحرك في نفسه ميوله القديمة للانتحار •

وها هو المؤلف قد أقبل ، بعد أن كان يراقبني ويراقبكم •

: ـ انت مرة أخرى ؟

الصوت : لا يهم • يجب ان تكف عن الكتابة ، وتكتفي بالتفرج فقـط •

ـ : لمـاذا ؟ •

الصوت : الكتابة لا تفيد • عش الصمت والعزلة •

ـ : هكذا اجتهادك • اني أبحث عن الحب والاستشهاد •

الصوت: انك تورط نفسك• تكتب عن الحسين بروح فوضوية •

ـ : أنا رجل ابحث عن ورقتي الخاصة حسب •

الصوت : انك تهذي فقط •

ملاحظة للقراء الذين لم يضجروا حتى الان •

قد تستغربون ـ عفواً أنا المؤلف ـ من شدة التصاق الصوت بي• على أية حال فهذا ليس ذنبي • انه يحبني للدرجة التي يظلمني • انه يريدني عجينة قديمة تجاوزتها منذ زمن • والماضي عندي ملغي تماما

هاهو الآن ـ بعد ان قرأ كلماتي ـ يلح عليّ ليتحدث اليكم :

الصوت : لا • بدأ المؤلف يخرف حقا • او بمعنى اكثر (علمية) ووضوحا أخذ يلعب لعبة غير أمينة ، فهو أولا جركم معه الى حديث طويل ـ يسميه قصة •• هه ! فأنساكم بعضاً من مشاغلكم اليومية ، وهو ثانياً حقق شيئاً ضدي اذ قتلني في نفسه نهائياً •

تستطيعون ان تتساءلوا : لما جزأ القصة كما ترونها الآن ••الا يستطيع ان يروي قصة مقتل الحسين (ع) كما رواها ابو مخنف رحمه الله •• ؟ هو يضحك مني الآن وأنا اعرف لم يضحك •

دعونا نتصارح : هذا الكاتب مختل الذهن تقريبا ، وهو يريد من خلال جنونه ان يطرح الحسين كشهيد •

أو •• هل صحيح انه كتب عن الحسين ••؟

انا أشك •

أقرأوا القصة مرة أخرى ثم تساءلوا : لماذا يتعب جمعة اللامي نفسه ، وقراءه هكذا ••؟

١٩٦٧

الغرفة

مؤكد ان هذه المدينة عمياء ، والا فلم لا ترى هذي الاعداد الكبيرة من الجياد التي تخب في شوارعها ساعة قدوم الظلام؟٠٠ اراهن على ذلك بسيكارتين من التبغ الاجنبي ، وربما ازيد الرهان قليلا فاجعله قنينة خمر ٠ هذا اذا وجدت فعلا – من يستطيع ويستحق الرهان ٠

أمس – وبينما كنت ادير بصري الى الجنوب ، شاهدت الليل يقبل كطائر هائل ، طير من تلك الطيور التي اراها يومياً ، ويقترب من نافذتي الوحيدة المفتوحة على الجنوب ، ثم ما لبثت الدنيا ان اصبحت سوداء ٠ واذ ذاك خطر لي أن اشاهد مقدمة الجياد التي كانت بدأت الدخول الى فم المدينة ٠ صحت في البيت : الجياد ٠٠ جاءت الجياد ٠ لم يجب احد كالعادة ٠ وسمعت امي من مطبخ العائلة تغمغم ، فيما حوافر الجياد تقرع خشب نافذتي الجنوبية ، ويطل احدها برأسه المستطيل فاتحاً منخريه والزبد يرغو على جانبي فمه ٠

الغرفة التي اسكنها تعج باناس صغار ٠ اناس صغار بحجم الدبوس العادي ٠ وهم عادة ينتظمون في حلقات للرقص – يحدث هذا في الليل ايضا – وغالباً ما تقوم ملكتهم بنزع ثيابها اثناء الرقص ، وبعد

ان تتعب تجلس الى الارض ، تتناول آلة دقيقة تزرق ما فيها من سائل داخل عضلات عضدها الايسر (علمت فيما بعد ان هذا الذي تزرقه يجعلها تقاوم الشيخوخة) . طبعاً هي التي اعلمتني ذلك مؤخرا .

قبل يومين كان النهار مشمساً . ادرت وجهي ناحية الجنوب ورأيت النهر . انه النهر الوحيد في المدينة ، وكان يبدو هادئاً ، ساكناً لا يتحرك ، فعلمت ان هذا زمن الصيهود ، بينما مددت يدي اليمنى تحت الفراش ، وكانت الملكة الصغيرة ترقد بهدوء ، فادركت انني البارحة دعوتها الى تسايتي فقصت لي قصة عن الزمن القديم ، وانني نمت بعد ان لمست صوتها وسمعت شعرها وتموج نهديها ، واعطيت نفسي للراحة . هنا اي في غرفتي ، تبدو الحياة مسلية ، اذ ان الاعتياد جعلني فقط اركز على ذهني ، وانظر الى الجنوب وقت الاصيل ، فيما الليل حفلة كبرى تزدهر بالحكايات والاقاصيص والموسيقى والملكة المتعرية الملتصقة بصدري . انني لا انهض على الاطلاق . وقد فهمت هذا الوضع وقبلته ايضاً . اكثر من هذا وكما يبدو لي أحس اني اسعد حالا من الناس الذين أراهم في الخارج .

في الخارج ، في النهار دائماً ، تبدو المدينة مزروعة بالاعداد الهائلة من الناس والسيارات والرافعات واعمدة النور وباعة الصحف والرجال الاذكياء والفتيات اللواتي تدربن على رفع التنورة فوق الركبة بعد الخروج مباشرة من الدار . اما الليل فهو غرفتي ، واصدقائي الصغار ، والجياد .

قبل ثلاثة ايام هرب هذا الجواد مني ـ كان جواداً أبيض على جبهته غرة سوداء ، لا يخفض رأسه الى الارض ـ فادركت انني

اتعامل مع جواد غريب ، ربما يشبهني بشيء ما ، وكان ان عرفت بعدئذٍ ان ذلك الجواد الابيض الذي بغرّة سوداء على جبهته ، قد استحال الى ما هو عليه الآن بعد أن كان في زمن سابق بشراً جميلا •

بالنسبة لي الحكاية عادية ، وربما لها علاقة بارادة الانسان ، بيد ان الملكة ملكة الناس الذين بحجم الدبابيس القاطنين معي في غرفتي ـ اخبرتني ذات يوم لم اعد اتذكره جيداً ، ان ذلك الجواد هو أبن جميل لأحدى الملكات السابقات من عائلتها ، وهو اذ يأتي الى نافذتي مع قدوم الليل ، فلأنه يريد ان يكفر عن خطئه ويعود الى أهلهِ ، واذكر انها قالت لي : انه نادم •

نادم ••؟
ولم افقه شيئاً على الأطلاق •
وأضافت : انه منفي قابل بنفيهِ بعد نفي اهله له •
منفي ••؟
(وقلت مع نفسي اني افهم كل شيء)

قبل أربعة أيام فكرت بأهلي وتساءلت هل أن ثمة جياداً واناثاً صغاراً لهم علائق مع اهلهم مثلما لي من هذهِ العلائق مع أهلي أنا •• لكني بعد لحظات نسيت كل شيء ومع ذلك فانا ما أزال مع اهلي ، ويعودني ذوي مرة بعد ذهاب الليل ، فقبل اربعة ايام على ما اتذكر ، وعندما ذهب الليل واختفت الجياد وعاد الناس الصغار الى كوى غرفتي، دخلت عليّ امي مسرعة وسحبت من تحتي قطعة اسفنج ـ لا ادري لم وضعوها ـ ووضعت على منضدة صغيرة ، قرب النافذة ، قطعاً صغيرة

من الطماطم والجبنة ، ورفعت اناء لم يمسه احد ، اعتقد انه كان يحوي بيضة مسلوقة وكسرات من الخبز •

كانت الأم خائفة • وكما بدا لي حينها ، فانها وضعت كفها على انفها وفمها واخذت تسعل بشدة •• اعتقد ان هذا المشهد دفعني ان اصيح خلفها

ـ امي العزيزة •

كانت قد اختفت خلف الباب • ولما أعدت ندائي سمعت كلمات مبهمة ، وامتدت اصابعي الى الملكة تحت الغطاء ، واردت ان اناديها مرة أخرى ، فسمعت الملكة تضحك ، غير ان كلمات مبهمة أخرى دخلت اذني ، واذ ذاك صرخت :

ـ امي العزيزة •

كان صمت خلف الباب ، والنهار انحرف نحو جهة ما ، وانا ربما للمرة الاولى أحس ان سريري ، اغطيتي ، جسدي ، بحاجة الى مس خفيف من اصابع تلك الام • وربما اردت ان ابكي ايضاً ، فأنا لا اعرف لم انا هنا ، ومتى وضعت هنا ، ومن الذي وضعني هنا ، والى متى سأظل هنا •

لكن الصمت الذي خلف الباب دخل غرفتي واستوت المرأة أمامي مرتجفة الاطراف ، ينخفض صدرها ويعلو ، وفي عينيها لاحظت اتساعاً كأتساع عيني الجواد الأعجف الذي ارتطم بحائط غرفتي ذات يوم وسكت الى الأبد •

وحاولت ان اتحرك ••

لم استطع •

وشدتني الملكة اليها ، وكانت قوية يافعة •

بيد أن وضع المرأة التي تعودتها أمي كان يلزمني بأن أضع يدي حول رأسي وانخرط في بكاء •

قبل سنوات لا استطيع تحديدها ، كنت طفلا يحملني والدي على كتفيه ، في الليالي القمراء ، حيث المدينة الهادئة كهدوء غرفتي، والقمر يمشي فوق رأسي ، مثل كرة صفراء تود أن تسقط الى الارض ، فاسأل أبي عنه ، فيخبرني انه مشدود بخيط طويل طويل ، في طبقة السماء الرابعة ، يمسك به طفل صغير ، يمتطي جوادا أبيض له غرة سوداء على جبينه ، يدع الخيط يتدلى ببطء، حتى يقع في حضني ، وكنت حينها أقول لوالدي ان القمر ينتظرني أنا لا سواي ، وانني كل ليلة ارى عدة جياد تطوف حارتنا ، جياد عجفاء أثقلها الجوع والحزن ، فيضربني والدي على قفاي ويزجرني:

ـ كف عن هذا الكلام فلست بيوسف •

وقبل سنوات بعد عشقي القمر ، أخذني أبي الى بناية كبيرة علمت انها تدعى : مدرسة ، وهناك صاح في وجهي رجل ضخم الجثة : انت اسمك يوسف ، ولكننا سندعوك نوح • هذه انظمتنا• عليك منذ الان نسيان اسمك القديم ، وتصدع ، بالتحية عندما أمر من امامك أو أنادي عليك • ليس هذا فقط ، فنحن هنا نتعامل بالارقام ورقمك هو : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ •

ولم أخسر شيئاً ، فماذا يهمني الاسم ؟ وهل صحيح اني يوسف أو نوح أو جمعة اللامي أو الرقم ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ••
أو هل هو أمر حقيقي اني مرتبط بأمي وبأبي وبالعائلة والاخوال

٨٧٠

والبارات والرافعات وأعمدة الكهرباء والفتيات اللاتي تعودن رفـــع التنورة ساعة الخروج من الدار •• ؟

قبل سنوات ، أي بعد ان دخلت المدرسة وامضيت فيها زمنـاً، جاء المدير الضخم (بالمناسبة ما معنى كلمة مدير) وقام الطـــلاب ولم أقم • لا ادري لم لم أقم : لقد تم الامر كما هو ودون أي جهد مني :

قال المدير : انت نوح •

قلت : لا • لست نوحاً •

قال المدير : وكنت يوسفاً •

اجبت : كـــلا •

احتد المدير : انت رقم •

قلت : لا أعرف شيئاً تتحدث عنه •

صرخ المدير : انت جمعة اللامي •

قلت : لا هذا ، ولا أي شيء آخر •

تساءل المدير : اتعرف انظمتنا ؟ •

قلت : ما معنى « انظمتنا » ؟

قال المدير : انت فاسد •

قلت : مثل بيضة •

بعد ذلك اخرجوني من الفصل ، اخرجوني من المدرســـة ، وجاء أبي الى البناية الكبيرة ، كان سخام على جبهته • وضعـوني في البيت وضعوني في الغرفة • وفي الليل تكاثرت الجياد العجفاء ودخل الاب غرفتي وهاجمني بعصا غليضة ، ولما حاولت الصراخ ،

فتحت نافذتي الجنوبية بعنف وأطل منها رأس جواد أبيض بغرة سوداء على جبهته ، فانهزم أبي وظل الجواد ينظر اليّ بعينين دامعتين •

ولست أدري ما حلّ بي بعد ذلك • لم استطع النهوض •• الاسفنجة تبدل في فترات • بدأت احس فقط الليل والنهار ، الاناء الذي في أول النهار ، والجياد والناس الصغار والملكة في أول الليل •

انني أسمع أبي ، في ليالٍ سحيقة في القدم ، يتحدث الى أمي عني فأحس بالخجل ، واسمع الاصوات العالية في النهار فأضع القطن في اذني ، وفيما يجيء الليل كطير أسود هائل أدير بصري الى الجنوب حيث قطعان الخيول تدخل المدينة عبر الرابية التي تواجه النافذة ، فتقوم الملكة الصغيرة بجمع قبيلتها ويبدأ الرقص حد التعب، ثم تقفز الى سريري وتضع رأسها الصغير على صدري وتحدثني عن زمن قادم ، زمن كله خيول واناس صغار يرقصون دون ضجة ، في غرف مثل غرفتي التي هي سلام •

بغداد ــ ١٩٧٢

الليل في غرفة الآنسة (م)

حين طلع الفجر ، لملم الليل نفسه ودخل غرفة الانسة (م) التي كانت منطرحة على فراشها تمارس هوايتها الصباحية بانهماك حاد ، الامر الذي جعلها تركز بصرها على نقطة سوداء في سقف الغرفة ، بحيث انها لم تسمع حفيف أقدام الليل الذي أخذ مكانه بالقرب من سريرها • أي ان المرآة الكبيرة ذات الاطار الخشبي الاسود المنتصبة قرب الباب كانت تظهرهما بصورة واضحة •

كانت الآنسة (م) عارية ، وفوق سريرها الاخضر تمددت على شرشف أحمر مطرز بورود سوداء وزرقاء •

واذ نظر الليل الى المرآة شاهد يدها اليمنى منشغلة بأمرار وشاح حريري أحمر بين فخذيها • وهذا هو بالضبط ما جعله يتأنى في القاء التحية عليها •

من الخارج تبدو غرفة الانسة (م) كأية غرفة عادية • غير انها من الداخل تكاد تكون غريبة عن الغرف التي تقطنها الاناث : فوق المرآة التي تحاذي باب الغرفة صورة لنمر صغير يحاول ان ينزو على أمه ، فوقها تماما لوحة مستطيلة (٣ × ٥) تمثل أنسانا برأس كلب يحتضن دمية كبيرة على هيئة فتاة في حوالي

العشرين من عمرها ، منطرحة على وجهها وتئن تحت ثقل الانسان الذي برأس كلب •

كان طلاء الغرفة ـ من الداخل ـ قديمـا بعض الشيء ، الا ان هذا لم يثر لدى الانسة (م) أي مشروع باعادة طلائهـا مـن جديد • لانها كانت تعرف ان مجرد ابدال ، او تجديد ، طـلاء الغرفة يسيء الى اللوحة الجدارية التي كانت مرسومة على جـدار الغرفة الذي يلتصق سريرها به : واللوحة الجدارية عبارة عـن فتاة منطرحة على وجهها قرب جدول صغير ، وعنكبوت كبير الحجم يقعي على ظهرها ويمد أحد خراطيمه في ثديها الايسر • وكما يبدو فان فتاة اللوحة الجدارية نشطة ، رغم الالم الذي تعانيه •

واستمر الميل يجيل بصره في الغرفة ، لقتل الوقت ربما ، أو لانه لا يريد ايقاظ الانسة (م) التي أخذت في هـذه اللحظـة بالذات تصك ركبتيها بقوة وتسحب الوشاح الحريري الاحمر مـن بين فخذيها ببطء •

لحظات قليلة مرت ارتجفت بعدها الانسة (م) وأطلقت زفـرة عميقة ثم انقلبت على وجهها ، وأخذت تتنفس ببـطء ، تحـت العنكبوت الذي كانت عيناه في هذه اللحظة تنظـران الى عجيزتهـا بانبهـار •

وظل الليل على موقفه السابق • لم يرد التحدث اليها • أمـا الانسة (م) فهي فيما يبدو قد انتبهت الى حضوره مؤخـرا ، الا ان الليل وهو يشاهد العنكبوت الذي أقعى على ظهر الفتاة تململ في مكانـه :

ـ لقد وصل النهــار •

قالت الفتاة : ارجو ان تسكت الان • أنا أعرف ذلك • دعني أكمل البرنامج •

قال الليل : لكنه' فظيع ان أظل صامتاً كما تعلمين •

قالت الفتاة : سينتهي بعد قليل ، ومن المستحسن ان لا اتكلم كثيراً ، فهو يكره الكلام اثناء العملية •

قال الليل : لكنه انتهى وصعد الى الصورة •

قالت الفتاة : لا أعتقد ذلك • انه فوقي تماماً •

قال الليل : هذا صحيح اذا افترضنا وجهة نظرك •

قالت الفتاة : لقد انتهى فعلاً في هذه اللحظة •

ولاحظ الليل ان العنكبوت بدا منطفيء العينين ، الا خرطومه فقد كان مصلوباً على ظهر الفتاة وابطها ، في حين بدت عيناه تنقطان دمعاً • أما الانسة (م) فقد كانت تنهنه بصوت خافــت ومسحـــت دمعتين من عينيها ثم استدارت صوب الليل •

ـ اعتقد انك حضرت منذ ساعة •• لقد نبهني اليك •

قال الليل : كنت أراقب النمر الصغير • منذ سنوات وأنا أراه بهذه الهيئة ، وكأنه لم يكبر أو ينمو • في حــين ان أمه ازدادت ثقــلاً •

قالت الفتاة : لقد نمى بصورة ملحوظة خلال الاشهر الاخيرة من السنة الماضية • انظر في عينيه : اليستا جميلتين ؟ •

أخذ النمر الصغير يحرك يديه الاماميتين على عجيزة وظهــر

أمه • وشاهدته الانسة (م) وهو يحيط بطن امه ويحتوي بفخذيه مؤخرتها فظلت مشدودة اليه وتتكلم مع الليل بصوت خافت •

ـ البارحة حاول أن يصل اليها ولم يستطع • حاولت مساعدته فلم أفلح • الا انه اليوم ، هذا الصباح بالذات نجح وفاز بهذه الام الجميلة •

كانت النمرة باركة على رجليها الخلفيتين ، منشغلة عن نفسها ، منهمكة ومأخوذة بالدبيب الذي كان يسيطر على عجيزتها وفخذيها وقدميها الخلفيين • لذلك فقد أدارت وجهها صوب الانسة (م) وأخذت تفتح فمها وتغلقه ، فيما كانت سيول لعابها تتساقط على أرضية الصورة •

أما النمر الصغير ، والذي أصبح كبيرا الان كما تقول الانسة (م) ، فقد انهكه التعب فيما يبدو ، الا انه حاول مرةأخرى وسيطر سيطرة واضحة على جسد أمه ، ثم اهتز لعدة لحظاتوسقط على الارض •

عند هذا أحنت الانسة (م) رأسها ، والليل منطرح الى الخلف قليلاً يتمتم لوحده •

قالت الانسة (م) :

ـ لقد هدأت الان •• الا نستطيع الحديث ؟

سألها الليل : عن أي شيء ؟

قالت الفتاة : عن أي شيء ، المهم أن نتحدث •

قال الليل : قبل ساعات ، كعادتي كما تعلمين ، كنت حاضراًمع الناس ، فشاهدت الملايين يموتون بشكل غريب ـ كانت الجرائم

موجودة ، واذكر اني شاهدت أحدهم يقتل شقيقه بضربة فأس على رأسه ، ثم يضعه في الفرن الذي يملكه •

سألته الفتاة : وهل جاءت الشرطة الى مكان الحادث ؟

رد الليل : هذا ما حدث ، وقبضوا على القاتل الذي كان يقف أمام باب الفرن يدخن سيكارته بكل هدوء •

قالت الفتاة : تستطيع ان تصف القاتل ؟

أجاب الليل : انه كأي قاتل •

قالت الفتاة : يخيل الي انني أعرفه •

قال الليل : أنا اعرفه منذ ان رفع الفأس وحطم جمجمة شقيقه • وأعتقد انني لربما شاهدته في أحد معارض الفنانين التشكيليين الشباب •

قالت الفتاة : الم أقل لك • انني اعرف القتلة • انه متوسط القامة ، على عينيه نظارة خضراء • اصابعه رفيعة ، خصل شعره داكنة السواد • انفه طويل • اسمر • بلا شوارب •

قال الليل : انه هو بالضبط •

قالت الفتاة : لقد رأيته في معرض (عبدون علي) الذي أقيم في قاعة كولبنكيان قبل سنة • ولكن قل لي : هل أنت ، أو أنا ، نعد من القتلة ؟

أجاب الليل : لا أدري • أننا لا نقتل أحداً ، كما تعلمين • وفجأة أحس الاثنان بالضجر • ربما لانهما أدركا أنهما أصبحا جديين • فقامت الانسة (م) من الفراش واتجهت صوب المرأة • كانت عارية أمام المرآة ، والليل ما يزال منطرحاً الى الخلف على

كرسيه ، يراقب العنكبوت الذي أخذ يكبر شيئاً فشيئاً ، حتى مد خرطومه الى عنق الفتاة ، فأراد الليل أن يتكلم :

ـ هس ، قالت الفتاة : أنه يعمل الآن •

أغمضت عينيها وأخذت تراجع الى السرير واستوى العنكبوت على ظهرها ، فأخذت تتأوه وتبكي ، وتتأوه ثم تبكي ، وهو مستو على ظهرها يغرس خرطومه في حلمة ثديها ، فيما بدت عيناه كجمرتين من حجر بركاني •

بعد برهة ، جلست الانسة (م) على الارض المغطاة بنوع من القطيفة السوداء ، فمد الليل أصابعه نحو شعرها •

ـ لقد تعبت هذا الصباح •

ـ وأنت ، ألم تتعب •• ؟

ـ نعم ، تعبت هذا الصباح •

ـ حسناً •• انها مشكلتنا اذن •

ـ لكنك أرهقت جداً •

ـ لا يهم • هل رأيت (ن) البارحة ؟

ـ كانت في دار للسينما ، بعد أن خرجت من بيت السيدة « فضيلة عبدالصدوق » صحبة رجل يشبه القتلة : شاب في حوالي الخامسة والعشرين ، أسمر ، بلحية شقراء ، ويقال انها مستعارة من أحد كتاب المسرح في هذه المدينة •

ـ عرفته : انه الكاتب « ايدوش هانك » الذي يمثل أحط نوع من الثقافة في أدب هذا الجيل الشاب •

ـ انك تعرفينه ؟

ـ طبعاً أعرفه • انه يلهو مع البنات • اسمع عنه انه لوطـي لكنه لا يمتلك صفات اللوطيين •

ـ حقـاً •• !

ـ نعم • وقد سبق له ان ارسل لي رسالة مطولة يدعوني فيها الهرب معه الى تنجانيقا •

ـ وهل قبلت ؟

ـ طلبت منه الحضور الى هنا ، فجاء مع الانسة (ن) ، ولما شاهده النمر الصغير اقترب منه وحك بوزه على عجيزته فخاف هذا الكاتب وخرج من الغرفة هلعاً • انما (ن) ظلت معي وامضيت معها وقتاً سعيداً على ما أتذكر •

ـ أظن ان (ن) رائعة للمرة الاولى ، وستكون عادية في المرة الثانية : انها لا تعرف كيف تمنح نفسها •

ـ بالضبط ، هل ضاجعتها مرة ؟

ـ لا • الا انى أعرفها جيداً •

ـ وتكذب بعض الاحيان •

ـ هذا لا يهمني •• ان جسدها هو الشيء الجميل فيها •

ـ أما أنا فيهمني أن لا تكذب • ترى كيف سـأكـون اذا كذبت ، أو تعلمت الكذب •

ـ سيغضب النمر الصغير حتما •

وفعلا بدأ النمر الصغير يزمجر بصوت غير مسـموع • أمـا

العنكبوت فقد ظهرت عليه امارات الحزن وعاد الانطفاء الى عينيـــه ، فتكور داخل بيته الغشائي • أما الانسان الذي برأس كلب فقد كان هو الجامد الوحيد في الغرفة •

قالت الفتــاة :

ـ نسيت أن أسألك عن طائرك الازرق • لم أعد أراه منـــد أيـــام •

ـ لقد هاجر وسيأتي بعد يومين • واعلمني انه سيكتب مذكراته اثناء وجوده في المهجر •

ـ أظن أنه ثالثنا الحقيقي !

ـ بكل تأكيد • أنت منشرحة الان كما أعتقد •

ـ بلى يا صديقي •

ـ وهل تعتقدين انك ستحافظين على هذا لوضع حتى الفجــر القـــادم •

ـ أحاول ، أو لا أحاول ، لا يهمني ، سأذهب بعد قليـــل الى عملي في الدائرة •

الانسة (م) في الدائرة

« ملاحظة من الانسة م »

= تحضرني وانتم تقرأونني في الدوائر عدة نكات عنالملاحظات

التي ملأ بها كتاب علم النفس كتبهم • ذلــك لان هؤلاء الكتــاب حاولوا جهدهم حشو ذهن القاريء باشياء قذرة ، واوهمــوه بــان الدائرة في شكلها الهندسي ، اذا ما مرّت في ذهــن مراهــق أو مراهقة ، فانها تعني وجود حالة « شاذة » ـ على حد تعبيرهم ـ في سلوك المراهق او المراهقة •

ويبدو لي ان صديقي ، الليل ، الــذي دخــل غرفتي تــواً سيضحك كثيراً من عقول اولئك الكتاب والقراء ، الذين صاغتهــم الكتب صياغة قذرة ومزعجة •

ومع ذلك فأنا حين اتحدث ضمن الدائرة عن الدائرة ، كمــا يريدني المؤلف ، أشعر بالعطف على القراء والنقــاد واختصــاصي الادب ، اذا ما فهموا الدوائر على غير حقيقتها ، انها دوائر ، دوائر ، ودوائر فقط = •

بعد ذلك يستطيع القراء الوثوق من أن الانسة (م) قد انكبت على عملها بشكل اعتيادي كما تفعل كل يوم وكانت الصفحات البيضاء التي أمامها على المنضدة قد اسودت ، فحملتها بنفسها الى رئيس ملاحظي قسمها ووضعتها امامه وانصرفت تنظر الى هناء .

من مذكرات طائر الليل

توطئة لا بد منهـــا : « لقد علمت مؤخرا ان تسمية طائر الليل ليست عملا من ذهني • انني لم اخترع هذا الاسم مطلقا • فقد اورده شعراء وكتاب كثيرون • الا ان الذي اثار استغرابي ما قرأته مؤخرا عن أحد علماء الاثار الذي كان قد سافر الى القطب الجنوبي مـــن (٢٠) سنة ، فعثر على هيكل عظمي يبدو انه يعـود لطائـــر برأس انسان • فا زدادت همته في البحث والتنقيب حتى وجــد بعض الهياكل العظمية في مكان يشبه الكرة المجوفة فيه (١١) هيكل لطيـور برؤوس بشرية لها ذيول كذيول الاسماك تقريبا • وبعد جهد مضن استطاع عالم الاثار ان يقتنع شخصيا بأن ذلك الطائر ، أي طائـــر الليل كما دعوناه ، تزوج من احدى الاسماك التي اعتادت العيش في الجليد ، فكانت الهياكل التي وجدها في ذلك المكان الكروي المجوف هي بالتأكد تمثل احفاده • وأضاف العالم الاثري بأن تلك الهياكل لاتمثل كل السلالة الجديدة ، انما هي على وجه الدقة الاباء الكبـــار لهذه السلالة من الاحياء •

وما يزال الرجل حتى هذه الايام في منطقة القطب الجنوبـــي

يبحث في مواضيع هذه السلالة • وقد وجد المذكرات التي نقتطع جزءاً منها في هذا البحث ، تحت رأس طائر الليل بعد أن وضعت في صندوق زجاجي ، وكتبت الهيروغليفية •

انظر كتاب المحاضرات

المؤلف : وليم بيرد •

شارع ٢٦ • الطرف الاغر • لندن •

الايام القادمة •• « الاجزاء المقتطعة من مذكرات طائر الليل»•

انتهيت أمس من طيران طويل ومتعب ، وجئت الى مدن الجليد أبحث عن الخلاص ، بعد أن ضقت بعالم الليل والنهار ودوراته • حسنا قد يفكر البعض قائلين : لم هذا الطيران المتعب ؟

في هذه الحالة على أن أقبل أية صفة اطلقت علي • فما عدت استطيع قبول مضايقات الليل لي ، وما عدت أطيق أن أكون الشاهد الثالث على بلايين الناس •

أنا الوحيد في مدن الاسماك والجليد التي بلا ذكور • ومنذ اللحظات الاولى لوصولي هنا عقدت الاسماك مؤتمرا استثنائيا قرر فيه أن أكون زوجا لسمكة أو أقتل •

ما بعد الايام القادمة

انتهيت ••

انتهيت الآن •• خبا توقي ، وغاب عني الليل ، وما عدت أرى الانسة (م) ، وأصبح لي أولاد يطيرون في الهواء ويسبحون في الجليد ، يكتبون الاشعار والقصص ، والفوا اتحادا للكتاب في مدن الجليد ، واعتبروني عضو شرف فيه •

وفي أحد اجتماعاتهم الدورية التي تنعقد عندما يبلغ أحدهم سن الخلود ، طلبوا مني ان أتكلم لهم عن شي لم يسمعوا به •

اعتذرت لاولادي الصغار اول الامر ، الا انني رأيتها مناسبة ، وامام الحاحهم ، ان لا اجرح ، فحكيت لهم •• اولادي الصغار •

لا ادري متى حدث ذلك ، لكني ما ازال أذكر الاسماء • لي صديق اسمه الليل ، ولصديقي هذا صديقة اسمها (م) ، يلعبان كل صباح لعبة مسلية لم نعد بحاجة اليها الان وعلى قدر ما لعبا هذه اللعبة فقد ادمناها نهائيا ، ليس لانها على صواب أو خطأ بل لانها كانت اللعبة التي فيها يمضيان زمنهما •

وعلى مر الزمن • اكتشف الليل ، كما اكتشفت الانسة (م) بطلان هذه اللعبة ، الا انهما في النهاية قررا الاستمرار بها لانهما لا يستطيعان الآن القيام بها • وهذا ما عذبهما كثيراً •

وذات يوم قالت الانسة (م) :

ــ ماذا نفعل ؟

قال صديقها : نعم ؟

قالت م : ماذا نفعل ؟

قال صديقها : نعم ؟

قالت م : ماذا نفعل ؟

قال الليل : نعم ؟

قالت م : ماذا نفعل ؟

قال الليل : نعم ؟

واستمرا يمارسان لعبة الجنس ، والاسئلة ، مثلما أمارس انــا الان أمامكم حكاية التاريخ القديم ، بعد ان مارست الزواج والانجاب .. لعبة مسلية .. اليس كذلك ؟

حزيران ١٩٦٧

ابراهيم العزبي

(١) ماجي العجوز •

بعد الساعة الثانية عشرة تجيء الساعة الواحدة •

واتمت العجوز ماجي كل شيء • انزلت ستائر حانة الاندلس بعد اغلاق النوافذ جيدا وجمعت قناني العرق والبيرة الفارغة ،ووضعتها كما تعودت في علبة كارتونية زرقاء تشغل الزاوية اليسرى من الـرف الايمن الذي يحاذي عجيزتها عندما تنظر الى رواد الحانة •

أما مكيال العرق فقد اضجعته بهدوء على مستطيل زجاجي أحمر اللون يجاور الآلة الحاسبة التي ينتصب الى شمالها الشرقي صـــندوق أسمر اللون فوقه تماما علقت ايقونة شرقية لم يمسح عنها التراب منذ زمن بعيد كما يبدو ، تمثل ام الرب تحتضن المخلص الـــذي كـــان يبتسم حزينا في وجوه رواد حانة الاندلس باستمرار •

التفت اليه •

وكان ما يزال ينظر الى الطاولة ، وحيدا ، حيث ينتصب بطـــل (الزنزانو) وتنتشر بضع حبات من زيتون على طبق صغير مائل الى الصفرة ، وحيث عليه السيكاير التي لم تنته بعد •

وكانت العجوز ماجي ،كما تعودت ، ما تزال تذكره بعينيه العسليتين ، الواسعتين قليلا ، وشعره المائل الى الاحمرار ، كما تذكرت أيضا ، وفي هذه اللحظة بالذات ، سترته العسكرية ، وشاربيه الزغب.

نادته :

ـ ابراهيم .. تشرب ؟

وكانت تعرف كذلك انه لم يكن سكران ، بل كان يشرب فقط، وكانت تغضب المنظرات الفضولية والمتشككة التي يرميه بها رواد حانة الاندلس . وطوال الاشهر الثلاثة الاخيرة ، كانت ترد الشائعات التي تتقول بها نساء الحارة ضده ، فحلفت لهن بقلب العذراء الطاهر ان ابراهيم العربي رجل طيب ، وقالت انها صلت من أجله الاحد الفائت ونذرت شمعتين للعذراء اذا شفي من سكوته المستمر وشروده الدائم .

وقد عارضها شيوخ الاثوريين في الحي الثاني من حارة العرب حيث « الاندلس » هناك ، على طيبتها وثقتها بابراهيم واخبروها بأن ابناءهم المسجونين في « نقرة السلمان » أعلموهم بلقاءات ابراهيم العربي بالشيطان الازرق الذي كان يعوي خلف سور السجن كل ليلة . وكانت العجوز ماجي تكذبهم دوما ، فقد كانت تتذكر ابتسامته الخجولة .

وابتسم لها :

ـ سأذهب

وجلست اليه : بعد ست سنوات يعود ابراهيم العربي الى ماجي

وحانة الاندلس فيجد كل شيء ظل في مكانه • الحانة هي الحانة ، نفس العرق • نفس الايقونة ، الا ّ العجوز فقد كبرت كثيرا ، ابيض شعرها وازدادت وضوحا مسحة حزن غامض في عينيها • ثم وضعت كفها فوق كتفه •

ـ انت تأبان •• ابراهيم !

ينظر اليها ، يبتسم ، يضغط بكفه اليمنى على كفها اليسرى ثم يشرب ما بقي في كأسه ، وينهض باتجاه باب الحانة ، فرسمت العجوز الصليب على صدرها •

(٢) الهجرة •

على جواد أدهم اخترق المأمون مدينة خراسان ، وكان خلفه ، قال المؤرخون العرب المنصفون والثقاة حقا ، ستمائة من العبيد الافارقة، وستمائة من العبيد الصقالبة وستمائة من المحضيات جيء بهن من جزر الواق واق وبلاد كشغر وبخارى ، فهرب الناس ـ قال الراوي ـ الا ّ الطفل ، ابن الثامنة ، الذي يتذكره الان ابراهيم العربي بكل وضوح ، فقد ظل في مكانه ، ينظر الى الخليفة ، وفي يده كعب خروف ، وقال ـ يبتسم ابراهيم العربي بنشوة ـ على فرس الملك ان تمر وأنا العب فالدرب واسع جدا لفرس ولخليفة ، انما لكعابي فلا ، وأعرف ان الباز الذي يقف فوق رأس العبد الثاني سيطير بعد مشي فرسخين ويصطاد سمكا من بحر الظلمات •

وازدادت نشوة ابراهيم العربي عندما وضع الكعاب في دائرة اللعب ومرت خيول المأمون من قربها ولم تدسها ، (كيف يقدر على ذلك يا ابراهيم) وقال ابراهيم المصبي لا بد أنه لا يعرف انك

محمد الجواد بن السلطان على بن موسى الرضا بن الكاظم الذي مات وحيدا ، على جسر من جسور بغداد ، بعد ان كان منفيا في سجن من سجون الرشيد الصحراوية •

قال شيوخ الاثوريين ان ماجي العجوز حزنت عندما علمت ان ابراهيم العربي سجين في صحراء السلمان • وقالوا انها انزلت صورة « الزعيم » من غرفة زينتها ووضعت مكانها نعلاً لقوادة أرمنية معروفة •

(٣) احزان النبوءات الجديدة •

لست أنا • ليس ابراهيم العربي • وليست ماجي العجوز •
عدت من الهجرة ،

كانت تبكي وتصلب الصليب على قلبها (آه يا ماجي) وكنا نبكي حتى في اغانينا • وعلى امتداد السور كان عريف من الجنوب يذكرني بأحداث وأحاديث الرجال الذين يقبعون الان ، في هذه اللحظة بالذات ، داخل مقهى ينتسب الى الضفة اليسرى من دجلة •

وكان الوقت شتاءً •

قال الاول : المراوح ساكنة •

قال الثاني : العالم مضطرب وأنا خارجه • يجب تدميره ، هذا هو الشرف الحقيقي •

قال (س) : اما الموت فلا أقبله •

قال الثاني : سأدرس ثورة الصين من جديد •

قال (س) : لماذا تنفق النظريات مثل الخيول الهرمة تماما ؟

قال الاول : أية اضطرابات ستزهر مع الموت ؟

الموت : صرخ ابراهيم العربي بعد أن تناول زرقة المخدر ، في الردهة السابعة ، يحضر مع المواجهة الشهرية ، وينام في مراحيض السجن ، ثم يكبر في اذهان من يجيدون لعب الطاولة والدومينـــو ، أما التغيير ، فانه يموت في اسنان ، الذين درسوا الفصول خـــارج حركتهـا •

بعد ذلك ضجر العربي •

وفي المقهى التي تنتسب الى الضفة اليسرى من دجلـــة كـــان النقاش ، الكلام ، الصوت ، لا يهدأ :

ـ اسمعوا : سأنحت تمثالا بنقوش ونياشين جنرال • نعـم • جنرال وادع هرة بيضاء أو مرقطة ، لا فرق ، تطل من كمه عـــلى جمهور كبير أغلبه من الفلاحين •

ـ : هذا فن ثوري •

ـ : لا • هذا لا يفهمه الفنانون المحترفون •

ـ : الاحتراف ، في الفن والادب قواده •

الله ، قفز ابراهيم العربي من مربضه السجني ، عندما كـــان يحاول ان يفهم بول نيزان منخلال تروتسكيوقال : أية مؤامرات، أية لغة ، أية طبقات • ولكن لا حل فيما يبدو ـ قال العربي لجملة في كتاب ـ سوى الذهاب الى مكة وضرب « اقداح » على نبي جديد•

نبي جديد • نعم •• ولم لا ؟

ويشعر ابراهيم العربي بالفخر ، فالنبوءات الجديدة حزينـــة ، ملتاعة في وهج الشمس ، وغائبة في القراءات الاسطورية ، ومقهـورة في لهاث الليل اذ يغطي السجناء أجسادهم بالبطانيات السوداء •

قام من مكانه ، والتقى مع الصباح الذي فضض الجدران ومسح شيئا من حزن الردهة السابعة في سجن الحلة المركزي •

(٤) الهجـــرة :

وقف ابراهيم العربي قريبا من نصب « الحرية » وكان الصباح الجميل قد ايقظ الشحاذين ، والجنود ، والعاملات ، وبعض الموظفين، ولم ينهض أحد في سجن الحلة المركزي ، كان السجناء قد نامـوا بعد أن تناولوا حساء الصباح •

وفجأة أخذت تماثيل النصب تترك مواقعها وتذهب الى العربات الصغيرة ، حيث يقف الجنود والعمال والشحاذون والباعة الصـــغار ، فالتقط ابراهيم العربي انفاسه من الدهشة ، ورأى الناس يقبلون على التماثيل ويقدمون لها شاي الصباح •

اتخذ خطوتين باتجاه الجمهور المتحمس لصداقة التماثيل ،لكنه فضل الاستيقاظ أكثر • كان الناس قد ركبوا سيارات عسكرية ، وصدحت اهزوجة ، وسمعت اطلاقة ، فاســـتدار العربي فجـــأة الى النصب ، فلم يجد الا" كفاً معروقة ، في منتصفه تماما ، تستطيـــــل وتستطيل •

واذ ذاك اتخذ اكثر من خطوة ، والتـحق ، مـــرة اخـــرى ، بالشحاذين والجنود والعمال ، الذين كانوا يملأون شوارع بغداد في ذلك اليـوم •

بغداد ـ تموز ١٩٦٨

من قتل حكمة الشامي؟

١ ـ التعريف الاول •

قال ابوه ، التقيت بامه التي كانت تحلم به آنئذٍ ، عند ضفة دجلة اليسرى التي تنساب بتعرج ابتداءً من جنوب الكوت ولم أكن أعرفها ، كما أعرفها الان ، غير انها قالت :

ـ ماء تريد أم لبن ؟

ـ واسمك يا ابنة العم ؟

ـ فرحـة •

ـ والخرج هذا •• ما به ؟

ـ سعد أبيعه للعذارى •• وحناء احتفظ بها لمن يهبني ولداً •

قلت لها بعد أن كبر حكمة الشامي « بالمناسبة عزيزي القارىء فهذا الاسم قد لا يعني عندك شيئاً ، الا" انه يسير منذ عشرات السنين ، في شوارع المدينة ، يبحث في قبور الموتى وبيده شمعة •• » والان يا ابنة العم ها ان حكمة قد صار رجلا فالزغب أسود على شفته العليا فهلا زوجناه • فقالت وهي تنتظر عودته على جواد ـ القاسم ـ انها تخاف الكلام ، فقد عاشت البارحة حلما كريها :

لقد أحب حكمة الشامي « ونسة » ابنة صياد السمك الذي يجاورهم انذاك ، ولما دخل غرفتها جذبته خلفها وشدت ساعديه بضفائرها ،ثم ذبحته من رقبته من خلف كما ذبحوا الحسين .

كان الحلم مخيفا ، قال ابوه ، غير انه لم يعره انتباها واستمر يحدث زوجته الواقفة قرب خص النافذة تنتظر وليدها الذي غـــاب عندما عضته ونسة من لسانه فسال دمها حتى قلبه .



(٢) الصوت السري

باسم الذي به اُؤمن ، أتحدث . ما عندي لكم الا الماضــــي أحكيه سطورا ، كفاجعة ، عن رجل أحب امرأة وذاب فيها فكــان جزاؤه القتل . طفلا كان الا انه ليس كالاطفال ، في جبينه غرة يهتدي بسنــــاها المسافرون في تطـــواف الليالي المـــلأى بالزمهرير والحالوب . وهو الصادق في عشيرته الامين لاهل بيته ، احبهم كمـا نفسه ورآهم كما رآها .

وفي رجولته المبكرة أحب كل الناس بموجب ديــــن الحـــب الجديد ، فلبس لبوس الرهبـــان وغدا كتـــابا يقرأه الناس الذيـــن الذين يتساءلون عن هذا الدين الجديد .

اسمعوه من قبره الذي لا مكان له :

« ما عندي لكم الا غصن زيتون وحبّة قمح . الارض أمنـــا فلنخلص لها ماوسعنا الاخلاص . اتبعوني أقدم لكـــم الســـلام والحب » .

يا قتلة حكمة الشامي اينما كنتم : قار على جباهكم يظل يزهر

أزهار الموت والخوف ، وستلد نساؤكم أولاد زنى في كل ليلـــة ، ويجف ماء الحياة في ظهوركم •

يا عشيرة « ونسة » : الفل في الطرقات يزهر كلما حل فيهـا أثر من خطى حكمة الشامي ، وكلمات الحب تنمو اشجارا باسقات تطاول أعناق السحاب في كل حارة قال فيها حكمة الشامي كلمته •

اني أحمل لكم نبأ : سيثور الماء الطوفان من تحت أبوابكـــم السرية ، وستهجم عليكم الفئران ذات صباح ، ثم تصبحون كالعهـن المنفوش •



٣ ـ حفلة التابين :

أيهـا الـ •••

نجتمع اليوم من أجل حادث جلل • ففي هذا اليوم قبل سـنة انتحر حكمة الشامي • كان مؤمنا عرف دين الحب •• (يتوقـــف الخطيب برهة فيحدث بين صفوف المستمعين هرج خفيف ثم يشـتد وتتحول قاعة الاجتماع الى صخب حاد •• أحد المستمعين يطلـــب الكـلام) •

ـ في الليل اسمع الصوت السري يحذرنا من النتيجة المقبلـة فنحن وعشيرة ونسة ابناء حارة واحدة ، بل اننا نحن آل ونســـة الحقيقيون ، فهي قد تربت على ضوء أفكارنا وما كنا نلقنها من تعاليم الدين الجديد « تسمع أصوات معارضة ومهددة •• الا ان الرجل يستمر في كلمته » •

سأضع المسألة امامكم بشكل واضح « ونسة » هي التاج الفاضح لسلوكنا العقلي • هي النموذج الافضل لنا • لقد قرأت ما قرأنا ثم تعلمت شيئا توارثناه من السلف : ان نقول ما لا نبطن فمن هو القاتل اذن ؟

« ينظر الى المستمعين الذين بدأوا يهدأون ثم ينزع جبةرجل الدين التي يرتديها ويبدأ حديثه بهدوء » •

كان فتانا غير اننا قتلناه • جاء الينا من أقاصي الجنوب وغرته مصباح منير أضاء ليلنا الموحش « وفجأة ينفجر غاضباً » ايها القتلة•• الصوت السري منذ سنة يتحدث لسكان الحارة أفما آن لكم أن تعفروا جباهكم بأوحال الارض •• ؟ ها انا انزع ملابس الرهبنة •• فالويل لكم.« يخرج من بين صفوف الجالسين فيما هو ينزع ملابسه قطعة بعد اخرى •• »

يكمل الخطيب كلمة التأبين ••

ومات وهو على دين الاجداد • لم تقتله « ونسة » فهي راهبة الحب • كانت ونسة تحبه بالطريقة التي سمحت لها ان تجعله ينتحر من أجلها •• اعرفوا هذه الحقيقة • لقد مات حكمة الشامي من أجلنا •• قولوا هذه الكلمات لكل الناس واجعلوا من موته قضية لكسبنا القادم •

« يصمت برهة ثم يواصل حديثه »

هل من مقترحات

أصوات :

صوت (١) : ماذا نقول لانفسنا •• ؟

صوت (٢) : أقيموا له مسجدا هنا •

صوت (ب) : صار قضية •• صار قضية •• !

صوت (٤) : اجمعوا ما كتب في كتاب •

صوت (٥) : آهم •• أنا •• آهم أقول •• آه •• يا حكمة الشامي •• يا •• آ •• آ •• ه

صوت الخطيب : والان لنمارس طقس البكاء المعتاد •

« يبدأ الصراخ والعويل »

ويسمع الصوت السري يعلو فوق لجة البكاء الطقوسي :

« يجف ماء الحياة في ظهوركم •• والماء سيتحول الى احماض في حلوقكم •• اشجاركم لا تثمر •• ستفتح القبور السرية مغالقها ذات يوم وتتجه نحوكم ••

ايها القتلة •• ايها القتلة •• »

* * *

٤ ـ التعريف الثاني ••

منكوبة أنا منذ مولده الاول •• ثدياي ما عادا يشخبان الا الدم والصديد وصوتي قد بح من الانين •• كان ولدي الذي كنت انتظره بعت السعد والحناء والديرم من أجل ان أراه شابا فقيها يظلل غربتي بفيء من حنانه •

قالت عرافة القرية يا فرحة ستلدين طفلا يصلب على صليب من يحب •• تفقأ عيناه •• يقطع لسانه •• ثم يذبح من الرقبة كما ذبح أبو عبدالله فقلت لها ها هو قد كبر الان وصار رجلا ورأيت

ان ونسة ابنة الصياد نشد وثاقه بضفائرها الطويلة غير انه كان يبتسم عندما أنهاه عنها وظل يقول لي : الموت نهاية المسافة التي لا بد لي من قطعها مهما كان الثمن واريدك يا أماه ان تعرفي جيدا ان في ونسة شيطانا طوله كطول الافعى ينام معها في الليل على فراش واحد ويضاجعها في كل ليلة فصار دمها من مذى ذلك الافعى «هي جميلة وأنا أعرف ذلك يا ولدي » لها نعومة الافعى وسر انسيابه ولا بد لي من تخليصها من سمها لا بد من قتل الافعى الشيطان •

قالت العرافة : يا فرحة كوني عاقلة ما هو مكتوب لا يمكن ان يرد ان معجزة ستحدث بعد سنين •• تقول النجوم ان الافعى لكي يطرد من دم ونسة لا بد له من ضحية •

قال أبوه : الافعى ينام معها تحت جلدها وفي جوف عظامها ويضاجعها في الليل على فراش واحد فكيف يخلصها منه •

قال حكمة لونسة : في عيني انظري وهاك لساني امتصي منه دما يقتل‌الافعى الذي ستكونينه بعد سنين قليلة فقبلته من شفتيه ومصت لسانه فبدأ ينزف الدم حتى انهارت قواه • وبعدها شدت وثاقه بضفيرتها •

قالت العرافة : ان النجوم لا تكذب • الضحية هو حكمة الشامي وسيخرج رجال من قوم ونسة يكذبون الدين القديم ويقلبون الارض سافلها عاليها وعندها ستكونين أماً لنبي • وتظل ونسة تعانق الرجال بعد موت حكمة الشامي تمتص دماءهم وتأكل لحمهم حتى تموت في يوم ما على سريرها مع رجل •

* * *

٥ ـ النذيـر ..

القرية أرض خراب ، واليوم هو ذكرى القتل والموت .. كان الرجال بعيون غير انهم لا يبصرون .. وبآذان غير انهم لا يسمعون. ومرت الايام قاحلة ضنينة وجاء العالم من يخلصه مــن عبوديتــه القديمة فمات على صليب من أحب .. أيها الذين تعرفون الجوانـب الاخرى من هذه القضية طهروا نفوسكم وانقلبوا على تقاليد الدين المتوارث « وآن لخيل الله ان تركب » وآن للرهبنة أن تزول .

٦ ـ حوار غير منته .. في سوق الحارة .

ـ من القاتل .. ؟

ـ اريد ان اشرب حتى يتعتعني السكر .

ـ من القاتل .. ؟

ـ امرأتي ستلد طفلا هذا المساء .

ـ من القاتل .. ؟

ـ ...

ـ من .. ؟

ـ قوادة جديدة وفدت الى الحي .

ـ من .

ـ ونسة تبيع جسدها .

ـ اريد ان انام .. تعبان .. تعبان .

تختلط الاصوات ، ورغم الضجة تظل السوق هادئة ، وكانت الظهيرة تحتضر وأم حكمة تكشف صدرها عند الشريعة ووسط الاتربة

والغبار وفد شحاذ الى السوق ووقف على دكة قرب دكـان حـــلاق الحارة وصرخ :

ـ رأيته أمس على جواد القاسم يحمل رأسه المذبوح ، فقـــال قتل لقومي •

وهنا علت الضجة في السوق •

فصرخ بائع الباذنجان : أسود وعمامته خضراء •

وصاح بائع الرقي : أحمر يا زرع ديالى •

فصاح الشحاذ : من القاتل •

وقال رجل لمرافقه : دعنا من السوق ولنذهب الى ونسة •

صرخ الشحاذ : من قتل حكمة الشامي ؟ •

هدأت الضجة فجأة ، بغير ما وعي ، وكان الشحاذ على دكـــة دكان الحلاق يردد صارخاً :

من قتل حكمة الشامي ؟

اوائل ١٩٦٨

ساعات من زمن الآتي حكمة الشامي

ملحوظة مهمة : « يتعين عليّ ان أوضح بعض امور غامضة من هذه القصة ، فأقول ان حكمة الشامي رجل حقيقي جدا ، كان عليه في ١٤-٣-١٩٦٣ ان يتصرف ويحسم زمنه بالشكل الذي تقرأونه... »

المؤلف

ـ الساعة الواحدة صباحا ـ

كل شيء تم بهدوء..فقبل ان يضع رأسه على وسادته التي طرز حواشيها في السجن قبل سنة ، كان قد انتهى من كتابة الرسائل الثلاث التي ترقد تحت الوسادة الان ، بعد أن ذهب الى الحمام واغتسل جيدا ، وارتدى ملابس داخلية جديدة .

ولما عاد الى فراشه لم يقم بأية حركة وظل واقفا في مكانه ، في منتصف الغرفة تماما ، حيث تنتصب قبالته على الحائط ، صورة لاخيه عندما كان صغيرا ، والى اليسار منها كانت صورة الامام علي ، فوقها ضبطا وضعت امه (رقية) داخل جلد اسود مدبوغ دباغة جيدة .

اراد ان يقول شيئا ، لكنه رجع بكل هدوء الى غرفة الحمام ، فسمعه اخوه الصغير يتقيأ •

ـ حكمة ـ يا حكمة ، ما بك ؟

واحس بعدم رغبته في الاجابة ، اذ هو في مثل هذه اللحظات لايمكن ان يخيب ظن أي كائن • فرد على أخيه •

ـ اتقيــأ •

ـ لمــاذا ؟

ـ لم أكتب رسائل كافية •

ـ انت ما زلت تتقيأ • حاول ان تدلك رقبتك بالماء البارد •

ـ اني أعرف مابي ، حالة عارضة •

ـ سمعتك تتحدث عن رسائل ؟

ـ بلى تحدثت عن الرسائل •

ـ لم أفهم ؟

ـ أنا أفهم •

ـ هل شعرت بتحسن الان ؟

ـ لقد برئت تماما •

ـ الساعة العاشرة صباحا ـ

حافية القدمين وقفت عند سريره ، ثم جلست اليه ومــررت أصابعها بين خصل شعره التي بلون الحناء ، وقبلت جبهته • فأحس بشفاهها الباردة تخفض من سخونة جبهته وخده فمال الى جانبهــــا وأمسك أناملها الباردة ووضعها فوق صدره •

ـ امي ، أريد أن انام طويلا •

انحنت على صدره وقبلته في ما بين عينيه فوضع ذراعه اليمنى على كتفها اليسرى ، فأحس بارتخاء في ظهره وفخذيه ، ورأى الحبل يتدلى من سقف الغرفة المجاورة ، فتقدم اليه ولمسه بود ومرره على جبهته وشفتيه وهو مغمض العينين ، ووزع الرسائل على فراشه •

قالت المرأة : لقد عرفت •• انت تحلم !

قال : لا • انه أمر حقيقي •

قالت أمه متوسلة : لكنه مخيف !

قال حكمة : لا • انه أمر حقيقي •

ومتوسلة مرة اخرى : انت تعرف كم أحبك •

قال حكمة : هذا أمر أعرفه جيدا •

قالت المرأة : انك تمزح •• لا تفعلها •

قال حكمة : انت تعلمين ، اني حقيقي دوما •

الساعة العاشرة مساء

[المكان : بار كاردينيا المطل على نهر دجلة •

الاشخاص : محقق ، شرطة ، هرمز ، والد حكمه الشامي ، فراج ، زبائن ••• يدخل المحقق الى البار يتبعه الشرطة ووالدحكمة ويجلسان الى طاولة فراج ، في حين يظل الشرطة واقفين ويستمر الزبائن في مزاولة عملهم المعتاد] •

ابو حكمة : هذا هو فراج •

المحقق : انت اذن فراج ؟

فراج : (يتناول كأسا) •• نعم •

المحقق : اتعرف حكمة الشامي •• ؟

فراج : صديقي [يصمت ـ ويقدم اليه كأسا]

المحقق : شكرا • ما زلت في الواجب •• اريد ان اسألك : متى رأيت حكمة الشامي آخر مرة •• ؟

فراج : (مستغربا) لم ؟

المحقق : (مداهناً) انها مجرد امور روتينية • وانت كما اري تعرف ماذا حدث لصديقك الشامي منذ ساعات •

فراج : (كالحالم) قبل يومين ، كان معي هنا ، يحدثني عن سفره ، الموعود لوجه الله ، وقال لي : يا فراج ، لقد اقتنعت بما أنا عازم عليه ، وما يهمني ما سوف يقولون ، وأوصيك ان تمر فيشوارع بغداد كل مساء فأنا سأكون في تلك الدروب ، حافيا ، عاري الجسم، أسير مع الذين ماتوا ، نراقب الذين يزحفون نحو موتهم (يصمت يتناول شيئا من كأسه ، ويستطرد) : لقد كان هرمز واقفا الى جانبه•

المحقق : هرمز ؟ من هرمز هذا ؟

فراج : يبدو انك لا تعرف هذا المكان وهرمز ؟

المحقق : طبعا لا ، ولكن اين هرمز ؟

فراج : انه يعمل هنا (مشيرا الى منضدة خشبية) ذلك هو•

المحقق : (لاحد الشرطة) ناد المدعو هرمز فورا (يستمر بمخاطبة فراج) : حسب ما علمت ان حكمة الشامي شاب جيدوطيب (يبكي أبو حكمة) لا تهتم (مشيرا لابي حكمة) انه القدر المكتوب ، ولكن قل لي هل كان يتعاطى المخدرات ؟ •

ابو حكمة : لست ادري • يشرب فقط • يشرب حد السكر •

« يحضر هرمز » •

هرمز : نعم سيدي •

المحقق : انت هرمز •• ؟

هرمز : نعم سيدي •

المحقق : اتعرف حكمة الشامي ؟

هرمز : من سنوات وهو يتردد الى هذا البار •

المحقق : صفه لي !

هرمز : من الارض جاء • غرة في جبينه ، صامت حتى في كلامه وهادىء في صخبه ، أبيض اللسان والقلب ، تتجه عيناه الى دروب ابن الله •

المحقق : هه •• وماذا بعد •• ؟ •

هرمز : لقد كان هنا منذ ساعات يرتدي ثوبا أسود ، وعلى عينيه نظارة •

المحقق : ماذا قلت ؟

هرمز : قبل ساعات كان هنا الا انه لم يشرب •

المحقق : (مستغربا) وهل حدثك ؟

هرمز : اي نعم ••• حدثني طويلا •• عن •• آه •• يا للعذراء •• لقد نسيت ، نعم حدثني بالتأكيد عن رجل •• ماركس

المحقق : لا تكن سخيفا ، هل هذا اسم قريتك ؟

هرمز : لا ياسيدي •

ابو حكمة : (مقاطعا) هذا هو العالم الجديد الاتي من زمن العنف •

فراج : (كالحالم تماما) هذا هو العالم الجديد الاتي من زمن العنف •

المحقق : ليس هذا وقت مزاح (يبدو عصبيا) أين تقع قرية ماركس هذه ؟ •

فراج : « حزينا ومخمورا بعض الشيء » •• ومتى استطعنا ان نمزح ؟ •

ابو حكمة : (متضايقا) يا سيدي المحقق ،هذا ، اعني ماركس، رجل فكر وله مؤلفات •

المحقق : لقد ارحتموني ، اذ يجب عليّ ان اشتري مؤلفاته البوليسية •

فراج : (محتدما) اية مهزلة هذه ؟ (ساخرا) يا سيدي المحقق قل ما تريد مني ، فحكمة الشامي ينتظرني الان في دروب بغداد •

ابو حكمة : فراج ، يا ولدي ، كن متزنا فلن ترى حكمة الشامي بعد الان ، لن تراه •

[في هذه الاثار تعلو صيحة الزبائن وتختلط كلماتهم بكلمات موسيقى واغنية لام كلثوم ، غير ان أحد الزبائن يرفع صوته عاليا ويأخذ بالغناء ويتحدث فراج الى المحقق وهرمز وابي حكمة] •

الزبون : (مخمورا) لعبة • كنت طفلا • كبرت • ثم قرأت،

وعرفت . ما بعد هذا . أنا لا أعلم الا ان الساعات القليلة الماضية عرفتني بنفسي .

« تعلو ضجة الزبائن في حين يظل الزبون يتحدث ولا أحد يسمعه » .

زبون رقم (٤) : احب اشوفك كل يوم (يغني ويبكي) .

زبون رقم (٧) : دعوا الزبون الاول يستمر (لا احد يستمع اليه) .

« تبدأ الضجة بالخفوت تدريجيا حتى يخيم الصمت على المكان» .

الزبون : (مستمرا) لاشيء لدي لقد قلت كثيرا هذا المساء .

فراج (مواصلا حديثه) : واعتقد انكم تعرفون حالة حكمة الشامي جيدا .

ياسكارى المدينة .. اجي كالحلم ، وأمر على بيوتكم ، وليس لي الا الحب اوزعه عليكم ، فلقد اماتني ان اراكم متفرقين ، اماتني أن اراكم كالشياة « ولقد ملأتم قلبي قيحا » فقتلت نفسي من أجلكم .

وها انتم كما كنتم ما زلتم تبحثون عن الحب تحت المناضد وبين أغلفة الكتب . انكم عمى لا تبصرون .

المحقق : (متعب) نعم . انه كما تقول وليس في الامر جريمة.

هرمز : سأذهب يا سيدي ، واذا جاء حكمة الشامي سأنقل لك رأيه .

المحقق : بكل تأكيد ، بكل تأكيد .

ابو حكمة : علي ان أذهب أنا أيضا •

فراج : لا يا عم • ابق معي •

المحقق : (كمن يخاطب نفسه) لقد انتهت المهمة (للشرطة) هيا للمركز •

« يغادرون البار » •

ابو حكمة : ينبغي علي أن اذهب الى غرفة حكمة الشامي فلربما أراه •

فراج : لا • انه الان هنا ، لقد رأيته قبل لحظات يحوم في هذا المكان ، انا واثق من ذلك •

ابو حكمة : لست أدري •

فراج : لقد احتفظت له بكاس •

ابو حكمة : فراج ، ولدي ، كن عاقلا •

« يضع فراج خده على الطاولة ، ينكفيء كأسه ، يحاول ابو حكمة ان يصلح من وضع الكأس » •

فراج : لا فائدة يا عم • انكفأ الكأس وتبددت الخمرة •

ـ الساعة الثانية بعد الظهر ـ

مارا بكل المقاهي والساحات على امتداد شارع الرشيد وابو نؤاس ، كان حكمة الشامي يرى الاشياء وكأنه يراها لاول مرة ، وبنفس الطريقة التي تعامل فيها مع الحبل عندما كان على السرير مع المرأة التي هي أمه تعامل ايضا مع أعمدة الكهرباء والصحف اليومية والنساء والرجال •

لقد ارتدى انصع ملابسه وسرح شعره • أما حذاؤه فكــان يلمع في شمس الايام الاولى من الشتاء الجديد • ورغم انه لم يكن يتوجه الى أي مكان محدد ، الا انه كان يمر على الناس والنهـــر وكأنهم المكان الاوحد الذي اشتاق اليه ولم يكن يحمل معه الا كتابين « الحلاج » و « موت المسيح » •

هامش (١)

بعد شهور من رحيل حكمة الشامي استلمت والدته الرسالـــة التالية من احدى الفتيات :

« أمي العزيزة •• أنا فتاة عراقية ، عرفت ابنك قبل ساعـات من رحيله ، كنت اسير وحيدة في الشارع ، وعلى ضفة النهر شاهدت رجلا يغسل وجهه بالماء الربيعي • في تلك اللحظة لم أكن اعرفـه ، غير ان التفاتة منه ناحيتي صعقتني • صعقني وجهه ، وبقيت في مكاني فيما كان يتقدم نحوي مبتسما فقادني من يدي الى حيث ضفة النهر فجلست الى جانبه دون ان اتكلم •

لم يطلب مني معرفة اسمي ولم اسأله انا عن اسمه لكنه قال لي:

ـ اعذريني ، فأنت تشبهين امي •

ولم أجبه • بقيت اتطلع الى وجهه المتألق واتســـاع عينيــه ، واستمع الى نبرات صوته التي لا أعرف كيف أصفها •

ـ حسنا ، اصمتي ، فأنا أيضا اصمت في الكلام • ولم اجبه ، كان يلهو بالماء الذي امامنا وينظر اليّ ثم الى النهر والقوارب التـــي تعبر الى جانب دجلة الاخر •

ـ أنا أحب السمك • هل رأيت سمكا أخضر ؟ وتحاملت على نفسي • كنت افهمه بشكل غريب هذه المرة ، ورغم اني لم ار سمكة خضراء فقد قلت :

ـ الان فقط أحسُ اني أرى مثل هذه الاسماك •

ـ انها هنا ، في النهر ، تشق طريقها ضد التيار ، الى الشمال• لكنها ستجد نفسها في الجنوب يوما ما ، انها تعجبني لحد الضحك أحيانا •

وتوقف فجأة ، واخذ يحدق في عينيّ :

ـ انت جميلة مثل امي •

واخذ أصابعي بين كفيه ، ولم امانع ، وحدق فيّ طويلا ، ورأيت دمعتين تسقطان على خديه ، وكان جميلا بشكل مدهش ، رغم شحوب وجهه •• »

هامش (٢)

اعتادت ام حكمة الشامي أن تقرأ هذه الرسالة ورسالة حكمة الشامي اليها في اوقات متقاربة • غير انها هذا اليوم ، وبعد سنة من رحيله ، وفيما كانت تهم بالخروج الى السوق ، سمعت هسيسا على جدران غرفته ، وبدون أي احساس بالخشية ، دلفت الى الغرفة :

ـ امي أريد أن أنام طويلا •

واقترب منها ، ناعما كالحلم ، فاحاط كتفيها بذراعيه ثم قبلها ما بين عينيها فبكت المرأة ، وقالت له انه لم يزرها منذ شهور ، وقد اشتاقت لسخونة شفتيه على خديها ، فأخبرها انه ما يزال يعاني حالات التطهر ، وقد قبله الله قريبا منه ، فازداد بكاء المرأة وقبلته

في شفتيه ثم دست يدها في مفرق ظهره ، فقال لها انه بـــدأ يحس بالطهر الان ، فعلا نشيج امه ، والتصقت بظهره ، وظلت هكذا فترة من الزمن ، ولم تشعر الا بأنسيابه من جسدها بكل هدوء •

دعكت المرأة عينيها • اكانت تحلم حقا ؟ لكنها شعرت ان ثمـة بللا يرطب شفتها السفلى •

وتكومت على سريره الذي ترتبه كل يوم •

ـ الساعة السادسة مساء ـ

حبل معلق في سقف الغرفة • جسد معلق من طرف الحبـــل الاسفل • رأس الجسد يطل بنصف اغماضـة على جدران الغرفة ، رائقا، مبتسما ، هادئا ، و •••

••• لم يكن ذلك ليحتاج أية دهشة ••• انه أمر حقيقي تماما فان • الاوراق ، الرسائل تحت الوسادة ، دخل : ابوه ، الشرطة ، وما يزال المكان نظيفا حتى هذه الساعة •

ـ الساعة الاتية ـ

قالت حورية ـ وهي امرأة عاقر ـ انها دخلت غرفـــة حكمـة الشامي وجلست على سريره وظلت هناك عدة ساعات •• وعندما حل الليل أحست هسيسا على جدران الغرفة ، ورأته شـــفافا وجميلا ، يهبط عليها ويجلس الى جانبها •

قالت حورية ـ وهي امرأة عاقر ـ أخذت أصابع يديه ،وكانت باردة فوضعتها على صدري فأحسست ان جسدي يشتعل ، واصطكت

ركبتاي من رعشات لم أذقها في حياتي ، وأنا منطرحة عـــلى فراشه ، وثمة بلل يرطب شفتي السفلى •

قالت حورية ـ وهي امرأة عاقر ـ ورغم ان زوجي لـــم يطأني منذ شهر فقد شعرت ان احشائي بدأت تثمر •

بغداد ١٩٧٠

التحول

في البيت كما في الشارع تظل حياته هي هي • دفـق تأمـــلات وزحمة أفكار • وعليه هذه الايام ان ينهي كل مواقف الهدنةوالصمت والتواكل فقد بدت نهايات العذاب تضعه أمام حالات الخوف من البداية غـير المتحققة •

وأمس ، أي بعد عودته من جولاته في شوارع المدينة ، ازداد شعوره بالحلم لان الاشياء أخذت حالة من الفوضى والغموض ، حتى طفله الصغير تكون بشكل يبعث على الدهشة ، وهو لا يريد ان يصدق هذا ، فقد نبتت شواربه بغتة ، ولما يتعد الثامنة من عمره ، حســب رأي أبيه •

قال الطبيب انها ظاهرة العصر ، وقال الجيران ان القيامة أقتربت، أما هو فقد ظل ساهما يستمع الى الطبيب الذي كان يفسر ويبرر هذه التحــولات •

قال لزوجته : ما الحل يا سليمة ؟ •

انحنت كعادتها على طبق الطعام واخذت تلتهمه ، ورآها كبقرة وديعة في لحظة اجترار ، ولما الح عليها بحلقت عينيها وقالت ، دعك من وجع الرأس •

ولم تكن المسألة في نظره مدعاة لجلب وجع الرأس • وقد قال له اصدقاؤه نفس اجابة سليمة • لكنه ظل يعتقد ان لاسئلته ما يبررها ، فهو يريد ان يعرف • الله •• ! متى كانت الاسئلة محرمة يا سليمة •• ؟ الا انها أخبرته أخيرا بكل ثقة :

ـ ان عملي يحتويني كلية • لا استطيع تفسير هذه الظواهر • ويوما بعد يوم أحس بالشعور المحزن ينمو ويتزايد • ولاحظ رفاقه في العمل علائم الشرود تترك اثارها على وجهه وعينيه ، ونصحه بعضهم بالامتناع عن تناول القهوة والشاي • لكنه ظل يعمل كما يرغب هو •

وهذه الليلة ، وكان ينام الى جانب زوجته ، أعاد في ذهنه بعضا مما يذكره عن حياته : تزوج من سليمة وتدرج بوظيفته حتى اصبح معاون ملاحظ • وقد وصفه الناس في الحارة بأنه رب عائلة سعيد • كيف لا وقد جاء سعيد الى دنياه أملا في حياة جديدة ؟ •

ومن هنا ابتدأت مشكلته ، فقد كان ينظر الى سعيد كوريث له•• لاماله واحزانه ايضا ، وللرعب الذي يعانيه اخيرا • لقد اكتشف صادق حمدي مؤخرا ، ان كل شيء يبتعد عن العدالة والحق • « الناس ينافقون كثيرا انهم لم يعودوا أطفالا ! » •

* * *

من يوميات صادق حمدي •

- ١٢/٣١

مع اسوداد الزغب فوق شفتي العليا تعرى الاثم • صارت شعرات لحيتي وشواربي ترعبني • ولما بدأت الحلاقة اكتشفت انني أقوم بعملية تمويه • انني أكبر • انني سأموت بعد سنوات •

ضقت بهذا الموضوع كثيرا • وقال بعض زملائي في العمل ان المسألة لا تحتاج الى ادمان التفكير ، فهي مسألة اعتيادية جدا • لقد تعودنا وجود الشعر في وجوهنا كما تعودناه في رؤوسنا • وحتى زوجتي أخبرتني ان عدم وجود الشعر في وجهها لم يبدل في أمر نضوجها لان ثدييها كان يحكيان ذلك • وقالت لي - الليلة البارحة - صراحة :

انك ما زلت تعيش في رحم أمك •

- /٤/١٩٠٠٠٠

كل الحكاية تبدأ منذ اليوم الاول • منذ اللحظة الاولى • هتفت الممرضة : ولد ، ولد • هللت جارتنا السوداء ، وذبحوا عند قدمي امي خروفا سمينا وقدموا لها بعد ذلك خبزا مخلوطا بالسكر والسمن الحيواني • كنت أصرخ •

وعندما يحتج الطفل لا يجد الا الصراخ •

قالت الممرضة ، كلهم هكذا ، الاطفال ، دوما يصرخون عندما يواجهون حياتهم الجديدة • سمعتها وأنا أصرخ • بعد مدة تعبت فكففت عن البكاء • وفي المساء جئن النسوة الى امي والبستني ملابس خشنة • عندها تمنيت ان أعود للرحم •

بعد سنين ، في بداية اسوداد الزغب ، قال لي طبيب صديق ، لم تنام وكأنك في رحم امك •• تمدد يا أخي •• تمدد كمخلوقات الله • فقلت له انني أريد العودة اليه •

وعلى فراشي مع زوجتي أخبرتها بذلك ايضا الا انها أبـــدت اهتمامها بوضع طالباتها • وفي عملي لمحت لرئيسي عن مشكلتي فقال لي بود مشوب بالعطف والشفقة ان العمل ينسيك هذه الهموم ، ثم أبدى استغرابه من وجود هذه التصورات وحاول ان يقنعني بـــأن القضية طبيعية جدا وخاضعة لناموس خارج ارادتنا ، وان عملنا الخلاق هو التفاعل مع ذلك الناموس •

ولم أفهم منه شيئا اطلاقا •• !!

- /٦/ -

هذا العالم اخرس •
هذا العالم ابكم •
هذا العالم أطرش •
هذا العالم دنيء •
من يعطيه البراءة والحلـــم •• ؟

- / - / -

فصلوني من عملي بعد الحصول على تقرير طبي يثبت جنوني • كتب رسالة الى البروفيسور الذي وقع على التقرير بدمي•فكتب مقالا عني في احدى الصحف اليومية وصفني فيه بأنني رجل اميل الى الجريمة الجنسية •

يسقط الطب •• يسقط •• !!



كل الاشياء تبدو معقولة وتحمل معها تفسيرها ايضا • الشجرة هـي الشجرة ، وقد تعني شيئا اخر ، الا انها تظل الشـجرة ذات الشكل الخاص والعطاء الخاص • فلم يصر زوجي على غير هذه الحقائق••؟! تحيرت معه •• وقال العديد من الاطباء ، مسألته هينة ، الا انه يعقدها وحتى امـه اخبرتني انهـا جزعت من مصادماته العديـدة معها • فهي تقول انه رجل يخرج على الاعراف والتقاليد بدعوى انه يتصرف كالاطفال •• ويكره قذارة هذا العالم •

العالم قذر ! اسمعتم ؟ المجانين فقط يفكرون هكذا • وزوجـي واحد منهم • لان العالم يحمل معه منذ ولادته هوية انتصاره عـلى الرعب الذي يعيشه ، بفعل الانسان ••••

مـاذا •• ؟

ماذا قلت •• ؟ هذا ليس صوتي !

ولكن ، عفوكـم ، اسمحوا لـي ، سأحاول مجددا : على خلاف زوجي المجنون ، أقول ان العالم عاقل ، شـجاع ، لانني لا انقـاد لحدسي ـ فأنا مدرسة الفيزياء في ثانوية الشرقية ـ والحدس شـيء غـير يقيني ، وهو يبنى على أساس التصور والخيال • وخـلاص العالم يكمن في تغلبه على خوفه الدائم •

ماذا قلت •• ؟ تغلب العالم على خوفه •• ! لكن هذه ايضـا أقوال زوجي المجنونة •• !

لكنني هذه المرة سأضع محاولتي الاخيرة • اسمعوا جيدا ••

ارجوكم •• انا علمية جدا : عالمي عدل ومسرة لانه وثيق الصلة بالله • لانه من عمل الله ، والصانع يترك اثاره على مصنوعاته • واذا أراد العالم الطهارة التي يفتقدها زوجي ، فعليه ان يتجاوز مواصفات الفلاسفة •

الم أقل لكم انني قلت قبل لحظة ان الشجرة هي الشجرة ••
الم أقل لكم انني مدرسة الفيزياء •• !!



حبيبتي •

بين عالم أبي وعالم أمي أكاد اضيع • فلاني كبرت يصر ابي على عدم عدالة الوجود ، ولاني كبرت تعتقد امي بمعقولية العالم • وهذا هو الذي يقتلني • انهما يريدان ان أكون كما يريدان • وأنا لا أريد ان يصنعني الاخرون اطلاقا ••!

قبل أيام قلت لعمي عنك ، وطلبت منه ان يخطبك لي من أبيك • فصرخ أبي بوجه عمي :

ـ انت تكذب ـ سعيد طفل •

فدافعت عن نفسي ••

ـ أنا رجل يا ابي •

ـ لا تقلها مرة اخرى • اتفهم ذلك •

ـ نعم •

ـ ماذا ؟

ـ لانني أحب صديقة لي وسأتزوجها قريبا •

آنذاك غشي على أبي • فقالت أمي ، ايه استرحنا • نظرت اليها وأنا حزين من أجله ، فقالت لي لا تسمعني ما يوجع رأسي وقلبي، سنرسله للمستشفى قريبا •

١٩٦٤

تاريخ القتلة

في جو الغرفة المشحونة بالهمس ووجيب القلوب التعبي ،كان الليل يستطيل ويستطيل ، وهي كقطة حذرة تمتد لصقي ، وانا رجل أبحث عن الخلاص في المتاعب ومحاسبة التاريخ • انا رجل انهكنـي الجرى والتطواف في مفازات الصحاري فلجأت الى غرفة في طـرف من أطراف مدينة الخوف والعذاب أبيع الحب والتجربـة للنـاس وللدود ولسريرى • قلت انها ممدة لصقي ولا شيء أعرفه عنها • كل ما أذكره انني رأيت وجهها عندما كنت احارب بسيف عبدالرحمـن الداخل ، وامتطي جوادا عربيا تهزأ اعرافه بالويل والعاصفات •

أغمضت ـ الان ـ عينيها فبدت كالنائمة ، غير اني أعرف انها لا يمكن ان تنام ، فمنذ ايام وهي تراقبني بطريقة الاسئلة • اردت ان اخبرها بعذاب الليالي الموغلة في جذور القضية ، لكنني صمت في النهاية فقد كنت أعرف ـ الان ـ أية حالة تتلبسها •

فتحت جفنيها وحركت عنقها الحلـو •• فبانـت كـم هي مشتهاة •• !

ـ لم تنم ؟

ـ كانت الحكاية بسيطة جدا ٠ لقد اردت ٠٠ هكذا ٠٠

ـ كنت أفكر : الانسان ما يود ٠

ـ وما كان مني الا ان لويت عنان الجواد ٠ وعادوا الى حائط مبكاهم ٠ كانوا فلاحين ٠٠

ـ التفكير ٠٠ حسنة ٠٠ على ما اظن ٠٠

ـ لم أفكر بهم ٠٠ كانت التفاحات في أعلى الشجرة ٠٠والشجرة بها سوس ٠٠ من الداخل ٠٠ من الداخل ٠٠ من ٠٠ آخ ٠

ـ قلت في نفسي ٠٠ انه ما زال يفكر بهم ٠٠

ـ لقد اخطأوا ٠٠ والشجرة ظلت بـــلا لحـــاء ٠٠ آه ٠٠ اني مريض ٠

ـ لاحظت ٠٠ العمل الخاطىء يولد من التفكير الخاطىء ٠٠

لم أكن ادري متى أطبقت جفنيها ٠٠ ولما رأيت اليها وجدتهـــا نائمة ٠٠ وكانت شفتاها منفرجتين قليلا وثمة التماع اقحواني يزهر على شفتها السفلى : فكم كانت مشتهاة !

وكان الليل يستطيل ويستطيل ويتلوى ويمتد كنفق طـــويل بـــلا بداية ولا نهاية والاسئلة بديل لعهود الصمت والاذعان ٠٠ فأى موت ينتظرني على الطرقات ؟ والجواد العربي الاصيل نفق مع مـــن نفق من الحمير والبغال والخيل مع أول موجة وافدة من وباء داء الخيل حطت رحالها قرب أسوار بغداد اخيرا ٠٠ فأي موت ينتظـــر الفرسان على الطرقات ؟ ٠

أما السيف فقد عمل عمله ثم طلب الراحة وقال لي وهـــو

يلهث من الاعياء والاسى •• انت محارب غير مغـلول اليــدين باصفاد كافرة فهبني للبحر •• وقفت على الساحل •• كان السـيف يبكي بصوت جريح عندما سقط بالماء •• فأى حزن يتركه فيكـم غرق السيوف •• ؟

وكانت تسألني اذ يقبل الليل :

ـ اكنت تكلم السيوف ؟

ـ قال السيف •• ان الخطأ •• الخطأ •

ـ حرفة حلوة •• كلام السيوف !

ـ ولم تعد أية جدوى للاسف •• فالموت اقترب •• والمسـألة أقرب من حبل الوريد ••

كانت تنام بلا حركة ، الا انها ظلت في اتقاد حاد بان في دائرتي حدقتيها السوداوين ، فالموت المزروع على الارصفة يجعلها تبحـث عندى عن سيف جديد •• ولاني لا أعرف الاوهام •• اتعلق بنفسي فقط واهجر التاريخ والمسافة •• أما هي فلا تعرف سوى كلمـات الوعود •• وليس الذنب ذنبها فقد برأت كامرأة عاهرة !

ـ قل لي •• اتكره فرسان الداخل ؟

ـ الموت اقترب ••

ـ لكنهم طيبون ؟

ـ الموت هو النهاية •• من لي بالسيف أكلمه •• الشجرة ••

ـ عدنـي !

ـ حتى نفسي ساهجرها •• ما الفارس وثيقة !

واستمرت تنام بلا حركة وانا رجل أبحث عن رهط عبدالرحمن الداخل •• فالرجل غرق في الفرات مع الكتب التي صبغت ألوان بيتنا بعفونة المرض •• أما الرهط فقدظل يدور في مكاتب المدينة المهجورة، ولما لم يجد غير الدود عاد الى حانات المدينـــة وشـــرب الكحـــول المغشوشـــة !

لكن السيف الذي انتحر والمهر الذي نفق يثيران في نفسي بعض الاسـئلة :

ـ قولي لي •• لو انك انا •• ما تعملين ؟

ـ أجرب ••

ـ واذا وجدت انك في زقاق مسدود ؟

ـ أجرب أيضا !

ـ واذا قتلتك التجربة ؟

ـ قد •• قد ••

ـ حسنا كفي ••

كانت نائمة والغضب ينضح من وجهها فعلمت انها تعاني تمزقا حـادا :

ـ كلمي عقلك وقلبك ••

لم تجب •• عضت شفتها السفلى •• ثم التوت قليلا فلكزنـــي ثديهـا وشعرت بحرارة امرأة شهية ••

ـ اتحبني ؟

ـ أنا أبحث عن الخلاص في المتاعب •• والحب متاعب ••

ـ أنا متعبة ••

ـ أنا متعب ••
ـ أحبك •• واحب فرسان الداخل وثيقة الانصاف : اتذكرها؟
ـ تستطيعين ان تكوني أي شيء عندما تتصرفين كذلك •• انا لا أعظ •
ـ قبلني •• قبلني !

ويتناثر الاقحوان عند تبادل الرضاب ، فأيـــة متاعب هـــذه ، وتحمحم طوال مفرق ظهري الجياد • ويشيلني الصهيل ، وفـــي عينيها ارى أفقا ممتدا تخب خيول الداخل فوق سهوبه والراية تمـــلأ فضاء الفرات : لكنك يا من تبحثين عن نفسك عندي •• لقد طلقت الامجاد والنياشين والتاريخ وعشت أبحث عن المتاعب في المليل والبرد، فدعيني : السيف انتحر •• والمهر نفق •• فما قيمة المحارب بلا سيف أو جـواد ؟

ـ اشتر سيفا ؟
ـ الحدادون يزيفون والسيف الحقيقي في الداخل •• فـــي البحر •
ـ وجوادا عربيا أصيلا ؟
ـ نفقت الجياد •• في البحر الجياد تنام •• وعبدالرحمن فقـد زيه العربي •• غرق في البحر •• سافر في الموجـــة المتجـــددة الى الداخـــل ••
ـ اتقول الجد ؟
ـ ومتى هزلت ؟
ـ بعض الاحيان !

بعض الاحيان أهزل لدرجة الجد فاي ضرر في هذا يا جلدا مزقه الليل والرجال •• أيكون الضجيج مع اسوداد الشوارع بلا فائدة لا •• فثمة في الطريق والمفازات الصحراوية من يتربص بالضحية ، في أية لحظة •• ها انت مغمضة العينين ترينهم وقد حاكموا صاحب السيف المنتحر والمهر الذي نفق •

قال الاول ••

ـ لماذا تركت السيف يغرق !

كل السيوف خشب الا سيفه فهو المعدن المعدن وبه سر الانتصار، وعندما لم يقرأه أحد منهم فضلت الذهاب معه الى الداخل • الىالبحر

قال الثاني ••

ـ المهر •• لقد قتلته ؟

كان مهري وبه قهرت المسافة التي أقرب من حبل الوريد ، فكيف أقتله أيها المرابون •• لقد غرق في الفرات •• وعاش الداخل ـ البحر •

قال الثالث ••

ـ لقد اغرقت السيف •• وقتلت المهر •• دافع عن نفسك !

• • • •• • • • • • •

• • • •• • • • • • •

• • • •• • • • • • •

الداخل ـ البحر •

صرخ الاول ـ قرار الحكم •••

باسم الداخل ومهره وسيفه نحكم عليك بالاعدام •

تفه .. المخلص مات في غثاء التخريجات العفوية ، فما جدوى البكاء أيها المعزون ؟ قوموا الى قبره وامضوا مناحات المواسم وعندها سيكون موتكم محنطا في أقرب متحف .

وكانت نائمة كقطة مهادنة هذه المرة . مغمضة العينين ، يظلل هدباها وجنتيها المحمرتين جراء النشوة . وكنت أحاكم النفس والتأريخ عندما سمعت قرار الحكم ، وشعرت بها تزفر بحرقة ، فادرت وجهي اليها :

ـ حكمي عقلك وقلبك .

ـ القلب عندك .. والعقل عند الفرسان .

ـ لايهم ..

ـ لكني اتمزق ..

ـ ليس عندى أي شرط .

ـ لكن الحب شرط ..

ـ كانت البداية ، بداية الخطأ ، وقوع الفرسان تحت انحراف الخطوط ..

ـ أحبك !

وانت تعلمين اني كذلك أحبك ، فاتركي حذر القطط ، ومزقي ورقة الانصاف من البغاء واطلي على العالم بعنف انوثتك وطغيانها ، فلقد كان التبرير بداية استعباد جديدة .

ـ علي ان اختارك .

ـ قولي شيئا اخر .

ـ اني اتعذب ..

ـ هذا هو الطريق
ـ هكذا قالوا هم أيضا !
ـ المهم •• الكلمة ـ الفعل ••
ـ انت تحبهم !
ـ الموت قرب •• والمسافة أقرب البحر أهدأ وأعنف •
ـ لكنهم يكرهونك •
ـ السيف مات •• المهر مات •• البحر في الداخل ••
ـ جيادهم هرمة !
ـ كل السيوف خشب •• الا سيفه الوعد !

ها انت تقتربين الان •• لحظات ، وتعرفين معنى محاسبة النفس والتاريخ • لا ضرر في هذا صدقوني •• فلست أبحث الان الا عن الاسراب المهاجرة الى حيث البحر والموت غير المحقق ••

بغداد ١٩٦٦

إمرأة في خطوات رجل قتيل

كالمعتاد ايقظته امه حوالي الساعة الثامنة الا ربعا صباحا ونزل من السطح حافي القدمين واعطى جسده داخل غرفة الحمام للماء الذي كان باردا قليلا وفي تمام الساعة الثامنة وعشر دقائق دفع جسده الى الشمس التي كانت تشرق خارج البيت الذي كان لحد الان غارقا في رطوبة الليل •

في الطريق تأكد من وجود علبة سكايره وقطع النقد في جيبه ونظارته وأشار لعدة سيارات بالوقوف واستطلع الجانب الايسر من الشارع حيث تنتصب عدة شجيرات من الدفلى وسط جو ترابي ملأه أطفال الحارة بالصراخ والركض خلف السيارات أو التحلق في دوائر صغيرة •

كالمعتاد وقف في رأس الشارع وأشار بيده الى سيارة للركاب، لم تتوقف • جاءت سيارة اخرى مضت مسرعة • جاءت ثالثة • جاءت رابعة ، جاءت خامسة ، وظل هو في مكانه عند رأس الشارع كالمعتاد يدخن وينتظر مقعدا خاليا في سيارة نقل خاصة •

بدأت حرارة الشمس ترتفع فأمسك بمنديله ومسح جبهته ثم

خطى قليلا باتجاه الجهة الاخرى من الشارع ، لكنــه في منتصـف الطريق ، عاد الى موقعه السابق ورمى سيكارته المشتعلة لنصفهاوأشعل غيرها ، وعاود العبور الى الجهة الاخرى ووصل اليها فعلا ، وكانت سيارة قادمة تسير بشيء من السرعة أيضا فأشار اليها فتوقفت فقـال السائق انه سيذهب الى ساحة « النهضة » فوافقه على ذلك وجلس مع الركـاب •

بدت وجوه الركاب غير مألوفة • كانوا صامتين ، قال في نفسه لابد أنه حلم البارحة • وفعلا كان الموقف يشبه الحلم الى حد بعيد •



قال العريف : انزلوا من السيارة •

ونزلت مع بقية الركاب الاخرين • كانت المنطقـة خاليـة من الناس والاشجار والطيور والكلاب وبنات آوى ، فأستغربت كيـف وصلنا الى هنا وماذا يريد منا هذا العريف • وعندما تبعثر الركـاب في الساحة الواسعة كان صوت العريف يدعونا الى ان نقف بشـكل خط مستقيم ، وهذا ما حدث تماما بعد لحظات •

قال العريف : المسألة عادية جدا كما ترون وانها محض لعبـة سوف لا تُسيء اليكم ، انما المهم فقط ضبط الاعصاب والتفكير بشيء اخـر أو على الاقل الثقة بامكان ما سيحدث الان قد يحدث بعد يوم أو يومـين •

حاولت ان أنطق بشيء • تحركت • وكان بجانبي الايسر رجل ضخم الجثة وعلى يساري شاب أطال سالفيه وارتدى بنطلونا عريضا من الاسفل ، وثمة امرأة كانت تقف باتجاه الشمس فاتحة عينيهاعلى سعتهما

تحدق في الكرة الملتهبة بينما لاحظت في هذه الاثناء ان العريف كان ينظر الي فقط • الي فقط •

ناداني العريف : انت تعال الي فقط •

لا أعرف كيف تم الامر ، فبمجرد ان خطوت الى الامامخطوة وقع على الارض الرجل ذو الجثة الضخمة والشاب الذي أطال سالفيه وارتدى بنطلونا عريضا من الاسفل ثم لما هممت التقرب من العريف سمعت أصوات ارتطام بالارض لكنني في هذه الاثناء وقفت امام العريف •

سألني العريف : كيف تريدها ؟

قلت : هي بعينها •

فرد : اتعرفها حقيقة •

أجبت : طبعا ، لقد كنت معها البارحة ، وفي الصباح وقبل يومين •

فقاطعني : اصبر قليلا •• اتريدها حسب الطريقة الجديدة •• أم حسب الطريقة القديمة •

قلت : لا • حسب طريقتي الخاصة •

ولما لم يقاطعني كنت ابتسم في وجهه ولاحظت ان عينيه تميلان للاحمرار قليلا ، يرتدي بدلة مرقطة ، وثمة بندقية سريعة الاطلاقات موجهة ضدي ، لكنني أبقيت على ابتسامتي ، فيما أخذ يتفحصني بدقة ، فلمس خدي وصدري وكنت ارتدي قميصا يميل الى الزرقة الفاتحة، وانتعل خفا جلديا بلون التراب •

حاولت ان أتساءل ، بيد ان اشارة من البندقية السريعة الاطلاقات

منعتني ، ثم تقدم مني العريف خطوة وطلب ان افعل مثله ففعلت وهكذا الى ان احتك صدري بصدره وأخذ يتقدم وانا اتراجع حتى شعرت بظهري يستند الى جسد السيارة •• وعند هذا تراجع العريف وسحب أقسام البندقية سريعة الاطلاقات وضغط على الزناد فأندفعت طلقة واحدة واستقرت تحت الثدي الايسر مباشرة تبعتها اطلاقات في الصدر في البطن ، في الرقبة ، في العضد ، في الساق ، في منطقة •• ثم أخذت أميل الى اليسار حتى وقعت على الارض •

كنت ميتا ، كنت مغمض العينين ، بيد اني ابصرت العريف يمشي نحو جسدي حتى اقترب منه ففتح فمي ، واخرج لساني ثم جزه بسكين استلها من حزام التف على وسطه وأخذ يمزق قميصي وبنطلوني وملابسي الداخلية ، ثم دحرجني على الارض واخذ يضحك عاليا •

كنت اشعر بطعم الدم في فمي • كان دمي حارا ومركزا وكان العريف يقف على مبعدة مني يضع شيئا من الملح والفلفل على قطع من لساني المذبوح ليزدردها بنهم •

وفجأ تقدم بقية الركاب من جسدي • لا أدري كيف ومتى نهضوا ، بيد اني لاحظتهم يرتدون نفس ملابس العريف ، وكانوا يتقدمون نحو جسدي ببطء ، فيما كانت أعينهم تبقر جسدي •

جلست المرأة قرب رأسي ثم امتدت على الارض وادنت فمها من فمي وقبلتني بحرارة بينما كنت اسمع جريان الدم من فمي الى معدتها وقام البقية بغرز اسنانهم في كل مكان ممكن في جسدي حتى

العريف جاء معهم فأمسك بي من قدمي اليسرى وسحبني في الساحة العريضة الخالية الا من هذه الكائنات التي التصقت اعضاؤها على جسدي كما القراد تماما •



صاح السائق لاعنا السيارات : انزلوا من السيارة انفجر الاطار • نزلت مع النازلين الى الفضاء ، كانت المنطقة خالية من الناس الا بعض أكواخ من الطين مهجورة على مبعدة عدة أمتار وقد استغل بعض الركاب هذا التأخير ، فاتجهوا الى حيث الاكواخ يتبولون بينما اتجه هو الى منطقة اخرى من الاكواخ في الجهة اليسرى تماما •

التقط من جيبه سيكارة وأشعلها ثم أخذ نفسا عميقا وتطلع الى السماء • والسيارة ، والركاب ، واتجه بعد ذلك ببصره الى أحـــد الاكواخ الذي بدا له بدون باب • فتقدم اليه على مهل واجتاز الباب قليلا ووقف ساكنا وسط باحة الكوخ • في الجهة اليمنى من الكوخ كان ثمة مسمار علق عليه قميص عسكري مرقط تحته تماما شـاهد حذاءا عسكريا ثقيلا وعندما استدار ببصره الى الجهة اليسرى حملق في وجهه وجه رجل اخر رجل برتبة عريف يرتدي قميصا مرقطا يحمل في يده اليمنى غدارة سريعة الاطلاقات •

اراد ان يتراجع لكن العريف قال هامسا :

ـ لاتخف • انها مجرد شـــكليات لا أكثر •••

بغداد ١٩٧٢

يوم من تاريخ مدينة منسية

ابتدأ من نهاية الصحراء ، حيث بنك اليشن[1] ، ركض متعب المطرود في الزقاق (هو الشارع الرئيس في المدينة) مارا بدكاكين البقالة والحلاقة ، رافعا دشداشته حتى صدره ، بينما كان الاطفال يركضون خلفه ، مهللين صارخين ، قاذفين الحجر والحصى على عجيزته •

وامام بوابة المسجد وقف متعب المطرود رافعا دشداشته حتى صدره ، وهم بالدخول ، الا ان أحد الشحاذين صرخ بوجهه :

ـ يا مجنون لا تدخل •

توقف متعب المطرود قليلا ، ثم نظر الى الشحاذ ، ونظر الى نفسه ، ونظر كذلك الى بوابة المسجد ، واغمض عينيه وبدأ بالصراخ •

قال شحاذ لزميله : يا ساتر •• متعب اليوم على غير عادته •

رد الاخر : اسكت • مد يدك لقد بدأ الناس يتجمعون •

تجمع الناس على صراخ متعب المطرود • تجمع الصغار ايضا •

الكبار تحلقوا حوله . الصغار ظلوا يرشقونه بالحجـــارة والحصى ، لكنه ظل يصرخ . أحد الكبار تقدم اليه وامسك به من رقبته :

ـ متعب .. لم تصرخ .. ؟

ظل متعب يصرخ .

لم يتعود الناس صراخا من متعب الا فيما ندر ، فهذا الرجـــل الموصوم بالجنون والخرق هو الوحيد الذي لا يذهب الى مســـجد المدينة فقد كان يرابط قرب بداية الصحراء . أما اذا مر في شوارعها فذلك يحدث مع الرفيق الذين تعودوا رؤيته معه باستمرار .

ظل متعب المطرود يصرخ : قيـــل وقتها ان الصراخ تحـــول الى خوار وقيل ايضا ان متعب المطرود دخل باب المسجد وهو يصرخ رافعا دشداشته حتى صدره وقيل ان امام المسجد استقبله بكـــل ود هـذه المرة .

وضع متعب رأسه على فخذ الامام بينما ظلت يـداه تمســـكان دشداشته بشراسة . وكان ظهره المسود يحتـــك بارضية الباحـــة الوسخة ، بينما ظهر عند باب المسجد راعي الجـــواد ، فالتفت اليـه الناس ، الا انه تخطاهم جميعا وتقدم الى حيث ينوح متعب .

اقترب منه ومس باصابعه اضلاع متعب فأرتفـــع رأس متعـب بشيء من التوتر ثم نشر ذراعيه في الهواء واحاط بهما جسد الراعي وصرخ كالمستغيث .

كان راعي الجواد يبكي أيضا ، وهـــو يحتضن جســـد متعب المطرود . بعد لحظات صرخ امام المســـجد . كان يعـــول بصـــوت

مسعور ، وقذف بنفسه على الباب الوسخة ثم قام وقصد المنبر المجلل بالسواد ونزع عمامته . وعند ذلك توجس الحاضرون شرا .

تجمعوا قرب المنبر ، وبشكل فجائي اشتبكت ايديهم ، ثم اخذت ترتفع لتلطم صدورهم فيما كانوا يبكون وصوت الامام يعلن :

ـ يا ابناء (اليشن) لتحزن منا القلوب ، فقد مات الجواد[٢] .

في تلك الاثناء دخلت سليمة[٣] فشقت صدرها امـــام الامـــام وبصقت على الناس ، وصرخت :

ـ انتم القتلـة .

---

(١) « اليشن » : مدينة اكتشفتها في خرائطي الشخصية قبل اعوام ، تقع جنوب محافظة ميسان . ومن الممكن ايجادها بسهولة اذا حاولتم اكتشاف خرائطكم الشخصية بدون خجل او خوف . لقد عشقت هذه المدينة (ربما انني اكتشفتها لوحدي ودون مساعدتكم) فقد كنت اسافر اليها في السنة مرتين حيث اظل هناك بضعة ايام بين الانقاض المهجورة ، انقب وابحـــث دون تعب ، حتى توصلت الى معرفة المعلومات التالية :

- عدد سكانها (١١١) نسمه وبالتحديد اقول هناك (٥٦) ذكرا و « ٥٥ » انثى .
- الناس متدينون بوجه عام فهـو يؤمون المســـجد كل يوم جمعة ويقيمون مواسم العزاء الدينيـة ويرأفون بالفقـراء منهم .
- الوضع الاجتماعي يشوبه طابع المحافظة .
- الوضع الاقتصادي علاقات زراعية .
- الادباء ، الفنانون لا وجود لهم .
- هناك مبغى واحد
- عاهرة واحدة

- مجنون واحد
- يديرها مجلس علماء لم تعرف الطريقة التي من خلالها تدار المدينة بعد ذلك ، مدينة عادية ليس لها امتياز سوى انها مدينة تقع عند نهاية الصحراء •

(٢) الجواد :

استطعت ان اتوصل الى اكتشاف رأيين حول هذا الجواد ، وهي ان بدت غير قابلة للتصديق ، فهذا ليس ذنبي ، ذلك لأنني كما تعلمون ارصد في هذه القصة مدينة « اليشن » وفقاً لما رأيته واكتشفته •

مع هذا الجواد :ـ صدقوني •• انه جواد حقيقي ، حرت اكثر من مرة ، • وامام الاوراق والحكايات والالواح عشت اشهراً كاملة وأنا امضي كل وقتي لمعرفتها ، اذ اني بواسطتها ، اي بواسطة هوية الاوراق خاصة كما تعلمون ، استطيع ان احدد سلالة هذا الجواد ، وبذلك يتسنى لي معرفة المدنية بصورة مكشوفة • ولنقرب المسألة اكثر الى الذهن أقول : لو اني عرفت هوية الجواد لتمكنت بعد ذلك من معرفة سلالته ، بالتالي عصره ، وعندما اتوصل الى هذا كله ، فأني ، اتصوره :ـ اي انني احاول ان اكون واحداً من سكان مدينة اليشن •

لكن هذا مع اسفي الشديد لم يحدث كلية ، وأشعر ان بعضكم بدأ يلومني لهذا السرد •• حسناً ايها القراء الاعزاء كفوا عن غلوائكم بعض الشيء •• ولكن قبل هذا وغيره أغمضوا أعينكم وحاولوا تصور الجواد مثلي :

الوصف :

(غرة بيضاء على جبهته يهتدي بسناها المسافرون في ليل البرد والحالوب) • صدره ابيض ، ويمتد هذا اللون حتى يصل الى شفته السفلى • وابتداء من نهاية الغرة البيضاء التي على جبهته يسيح لون بنفسجي هادىء ينتشر على ظهره وبطنه واوائل فخذيه وذيله ، مع بعض البقع السوداء في جانبي خاصرتيه •• وتميل هذه البقع الى السواد الحالك عندما تتكاثر في عرفه •

اما عيناه فسوداوان ٠٠ ويقال انهما كانتا واسعتين مع حـور واضح ٠

المنشأ

(١) ذهب الشيخ حامد الفرهاد للصيد في صحراء المدينة ذات يوم ، وصاحبته زوجته « مضرية » ووزيره « هامل المعيوف » مع عدد قليل من الحشم ٠

قال الراوي : ولما قنص القـوم كثيراً من الغـزلان عادوا الى معسكرهم ، فأمر الشيخ باشعال النيران في ساحة المعسكر ، وتهيئة مقصف خاص بهذه الرحلة ، والعناية بجواده ٠

في الليل جلس الشيخ والى يمينه جلست زوجته ، بينما جلس وزيره الى يساره مبتعداً عنهما قليلا ٠ وبدأ الغناء والقصف والطرب فدبت الخمرة في الرؤوس وبانت واضحة الاثار على وجه « مضرية » الجميل ٠ وبعد سويعات تثاقلت عينا الشيخ حامد الفرهاد وبدأت ساقاه بالفتور والاعياء ، بينما وزيره هامـل المعيوف ينظر اليه بكل غبطة ، ويرسل طرفه الى (مضرية) بكل حيطة ٠

سكر الشيخ ٠٠

سكر المرافقون ٠٠

الا « مضرية » ٠٠ وهامل المعيوف ٠٠ وجواد الشيخ ٠

بعد ذلك اخذت « مضرية » تنظر الى وزير الشيخ بمعنى تعارفا عليه منذ زمن فاستل خنجره باليمنى ، واحتوى رأس الشيخ باليسرى ومرر النصل الحاد على رقبة الشيخ حامد الفرهاد ، فيما كانت (مضرية) تدير خمراً قانياً على الرقبة الذبيحـة وتصيح منتشيه :

« صار الملك لي ٠٠ صار الملك لي »

قال الراوي : اخذت مضرية تنظر في عيني وزيرها ٠٠ تقدمت منه ٠٠ أخذته اليها ، وبهدوء تام سحبت جسدها منه وسـارت الى خيمتها فتبعها الوزير

وفى صباح اليوم التالي سمع مرافقو الشيخ صرخة عالية صادرة من خيمة مضرية : واعزيزاه ٠٠ !!

فهم الناس الامر ، لبسوا السواد ، وارتحلوا ، غير انهم لـــم يجدوا جواد الشيخ ٠٠ فقط شاهدوا آثاره تتجه الى عمق الصحراء ٠

(مافاتك من دهاء النساء)

ـ كتاب مخطوط في المدينة ـ

(٢) « في عام من اعوام القحط أغارت احدى القبائل البربرية على مدينة اليشن ، فقتلت من الناس كثيراً ورمتهم في المستنقعات القريبة من نهاية الصحراء ٠ ورغم ان القصص والحكايات كثيرة حول تلك الغارة ، الاّ ان واحدة منها تتصل بنبوءة يعرفها جيداً مجلس العلماء تقول النبوءة : سيهاجم البرابرة مدينتنـــا ٠ سيقطعون الحرث ، يخصون الرجال ، ويقطعون ارحام النساء ، وفي يوم معين من سنة قادمة سيدخل جواد الى مدينتنا ، وسيظل بيننا فترة من الزمن ٠ سيحبه الرجال والنساء ، الصغار والكبار، لكنه سيذهب يوماً ما الى الصحراء ويموت في طرف من اطرافها ٠ هذا الجواد أصله واحد من ضحايا البرابرة : انه ذلك الرجـل العروف فى المدينة ، الذى طعن فى قلبه كثيرا ، ولـم يستسلم ليموت ، وعندما يأخذه الجلاد ليدفن مع ابناء شعبه الاخرين في صحراء المدينة ، يقوم من موته ويركض في الصحراء ، فيصاب الجلاد بمرض خبيث في عقله ويهيم في الصحراء على وجهه ويبدأ بالتحجر ابتداء من اخمص قدميه ٠

وفي هذه الاثناء يتحول الرجل المعروف المطعون في قلبه الى جواد ويظل يركض فى الصحراء دهورا عديدة ثم يعـود الى المدينـــة القديمة ٠٠٠ فاذا راى الناس لم يتغيروا بعد فانه سيموت في طرف من اطراف الصحراء ٠

يا ابناء مدينة اليشن : احذروا موت الجواد »

ـ من رسالة مطولة وجدت لدى امام المسجد ـ

٣ ـ سليمة :

كبرى العاهرات الخمس ، وفدت الى المدينة بصورة خفية قال الناس في المدينة أول الامر انها جاءت من الصحراء ٠ ولدتهـــا الصحراء بهذا الشكل الدامي الذي تتحدث بواسطته ٠ ويقول

تقرير وجد لدى امام المسجد ما يلي : « يعتقد مجلس العلماء في المدينة ان سليمة ـ التي لانعرف اسم والدها ـ تتحدث بشكل دام ، رهيبة في سلوكها • لا تعرف الرحمة • اتصلت بنساء المدينة في اوقات متفاوتة وعرضت عليهن تنظيم انفسهن باتحاد خاص برنامجه الاساس : حرية المرأة دون الاهتمام بما يقوله الرجال وعلماء الدين •

ويعتقد مجلس العلماء ان سليمة استطاعت ان توقع في حبائلها بصورة معروفة اربع نساء فقط ، الا أن الهمس الذي يدور في المدينة ويصل الينا يقول بأن نساء المدينة برمتهن يتعاطفن معها •• لذلك نؤيد ، وبكل قسوة ، تدمير هذه المرأة »

ولقد استطعت أن أعرف مؤخرا ان سليمة كانت لاتسب متعب المطرود وتاتي مرارا بالطعام للجواد ، وقيل أنه كان لايخافها ويظل أمامها صامتا خجلا على عكس ماكان يفعله عندما يقدم اليه اعضاء مجلس العلماء العلف والحنطة فقد كان لايقرب منه •

بيد ان أهم شيء عرفته مؤخرا انها الوحيدة التي لم تسلم نفسها لاي رجل رغم انها كانت توصم بالعهر •

بغداد ـ ١٩٧٢

الفهرست

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

٩٨٣ لسنــة ١٩٧٥

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
بغداد

السعر : ١٠٠ فلس

دار الحرية للطباعة / بغداد

١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م